مواقف من حياة الشيخ

العلامة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني –رحمه الله تعالى–.

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان –حفظه الله–.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

أما بعد.

فهذه المحاضرة خصصتها بالحديث عن شيخنا مُحَمَّد ناصر الدين الألباني –رحمه الله تعالى–، إمام الدنيا في الحديث النبوي في هذا الزمان، الذي تعلمنا منه الكثير علمًا، وعملاً، وتربيةً، وسلوكًا، ومعرفة بمعالم هذا المنهج، –منهج الدعوة السلفية–.

فالكلام لاحبٌ وكثير، وتقصدت أن لا أزور شيئًا في نفسي، إلا رؤوس أقلام، كتبتها في وقت ابتهلته واغتنمته وأنا في الطائرة، قبل نحو شهر عندما عُدت من الكويت، فقلت لعل هذه الورقة تنفع، ونفعت الآن، ولم أنظرها عن عمد.

أريد أن يبقى الكلام في فضفضة وسَعة، بعيدًا عن القولبة المنهجية في المسائل العلمية الدقيقة، هي مواقف مؤثرة وفيها معالم مهمة لمعرفة الدعوة السلفية.

أولاً: اعتذر عن تقصيري بداية عن الإحاطة والإلمام بالحديث والكلام عن شيخنا الإمام الألباني –رحمه الله–، ولكن هذا واجب قَصَّرَ فيه تلاميذه، وبودي أن مركز الإمام الألباني المبارك هذا يقيم مؤتمرًا عالميًا يُدعى إليه تلاميذ الشيخ وأحبابه من سائر أنحاء الدنيا، ويُغطى موضوع الشيخ –رحمه الله– مع منهجية الشيخ في التصحيح والتضعيف والتوحيد والفقه والأصول وما شابه.

المواقف المؤثرة كثيرة، لكن لا بد من بداية مهمة، لا بد أن نعلم أن الدعوة السلفية بإيجاز هي الدين النقي الذي أنزله الله تعالى على قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

والدعوة السلفية ليست حزباً يُنتسب إليه، وليست اسمًا، ورسمًا، إنما هي حقيقة ينبغي أن تَعاش في الجلوة والخلوة في الظاهر والباطن.

شيخنا الألباني –رحمه الله– كما هو معلوم انصبغ وانشغل بعلم الحديث وعاش لمشروع سماه (تقريب السُنة بين يدي الأمة).

فَصُبغَ تلاميذه وأحبابه بصِبغة الانشغال بعلم الحديث والتخريج والتصحيح والتضعيف.

والدعوة السلفية ليست مُقتصرة على هذا الفن وعلى هذا النوع، فالدعوة السلفية هي الإسلام الصافي النقي الذي أنزله الله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فتسع العامي وغير المتخصص، بل تسع طالب العلم غير النبيه، ولا النبيل ولا الموسوعي، ولا الذي عنده وقت ليتفرغ لطلب العلم.

فمن رام واجتهد أن ينتسب للسلف الصالح، وأن يفهم دين الله الذي شاء الله أن يكتمل وأن يكون في واقع الحياة، فمن انتسب ففهم الدين على أنه أمر عملي، وعلى الوجه الذي طبقه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والقرون المزكاة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو سلفي، والأمر بينه وبين الله عز وجل.

شيخنا الألباني –رحمه الله– وُلِد في ألبانيا، قامت الثورة الشيوعية وكان الناس في ضائقة شديدة، وذكر في كتابه السلسلة الصحيحة أنه رحل إلى الشام، وأن الله رفق به، وكان من أحسن حسنات والده عليه أن رحل به إلى الشام البلد المبارك.

ثم تعلم دين الله عز وجل، عاش في بيئة متعصبة للمذهب الحنفي، حتى أن والده –رحمه الله– كان فقيهاً حنفياً متعصباً، كان يرى في فترة من الفترات أن الذي يحشي الضرس إن كان جُنباً، فإن الجنابة لا تسقط عنه ويبقى جُنباً إلى يوم الدين حتى ينزع حشوة الضرس،

وتعب شيخنا الألباني –رحمه الله– وهو يناقش أباه حتى أقنعه وهو صغير بَعد لم ينبغ ولم يشتهر في العلم.

شعرَ الشيخ الألباني –رحمه الله– منذ البدايات بالحاجة إلى العلم الصافي البعيد عن التعصب والتمذهُب، وجعل الأحكام الشرعية كتاباً وسُنةً تحيى بسماتها، ومن أهم سمات النصوص الشرعية الحاكمية، قال تعالى: ((إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) .(سورة يوسف: 40).

الدين القيم هذا هو.

نشأ الشيخ الألباني –رحمه الله– في بيئة فيها صوفية، فيها تمذهُب شديد، إذا التقى العامي بالعامي في تلك الفترة سأل الرجل أخاه: من شيخك؟ ما مذهبك؟ ما هي طريقتك؟

ومن أراد أن يعرف الشيخ الألباني –رحمه الله– كيف ضحى وكيف تعب، فلو أنه عاش أياماً قليلات في تلك الحارة التي عاش فيها الشيخ في دمشق، لعلم كم كان الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى– يُعاني في تلك البيئة في نشر الدين الصافي القائم على الأدلة.

العلماء جميعاً نحترمهم، ولكننا لا نقدسهم، ولا نرى العِصمة لأحد، فالشيخ الألباني بدأ هكذا، وفصلَ هذا الأمر في كتابه (أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم).

فالشيخ الألباني –رحمه الله– مُعظِم للدليل، حريص كل الحرص على إحياء سُنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهنا أتذكرَ مقولة قتيبة ابن سعيد البلخي الذي أخرجها بإسناد صحيح ابن الأعرابي في معجمه قال: (مات سفيان الثوري فمات الورع، ومات الشافعي فماتت السُنن، ومات أحمد فظهرت البدع)، ومات شيخنا الألباني –رحمه الله– وظهرت الفتن، ولا سيما تلك

الخلافات الشديدة، وتبعثر الصف الذي ينتسب للسلف، ومساعدة الإعلام المجرم في تقسيم السلفية إلى سلفية جهادية ، وسلفية تكفيرية...ألخ. -المسميات المعلومة-.

السلفية محضن تربوي عقدي فقهي ، دين صاف مُنزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ليست نسبة لشخص، وليس نسبة لأحد .

كان شيخنا الألباني -رحمه الله- دائماً يقول: لسنا بأحمديين، لسنا بتيميين، ولسنا بألبانيين، ولو جازت النسبة لأحد لكنا مُحمديين، و نحن لا نقبل أن ننسب أنفسنا لسيد الخلق مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وإنما نحن مسلمون، نفهم إسلامنا على الوفق الذي أصبح ديناً عملياً معروفاً في حياة الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه والقرون الأولى.

من أوليات شيخنا الألباني -رحمه الله- وأولويات حياته ودعوته والتي عاش من أجلها، أنه عاش لشعار رفعه وهو شعار (التصفية والتربية) .

شعار التصفية والتربية المراد منه أن نحقق أعلى مقام من المقامات التي يحبها الله عز وجل والتي هي مذكورة في سورة الفاتحة.

الفاتحة فيها أربعة مقامات، أنت تنتقل من مقام لمقام سمواً وعلواً، تبدأ بمقام الحمد، ثم مقام العبادة، ثم مقام الهداية، ثم مقام النعمة ((الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ))، وهذا مقام النعمة الذي أنعم الله عليه هو الشيء الذي دعا إليه الشيخ الألباني -رحمه الله- ، فالإنسان لا يكون حامداً حتى يكون عابداً، ولا يكون مهدياً، حتى يكون عابداً، ولا يكون الإنسان المكلف المسلم ممن أنعم الله عليه حتى يكون مهدياً إلى الصراط المستقيم الذي ذكره الله عرياً عن أحد قال: ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)) (الفاتحة:6)، فإن عرفته فتسأل ربك فتقول:الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، فالأمر قائم على معرفة الصراط، وبعد أن نعرفه نعرف أهله ونلتزمه ، فإذا لا بد من تصفية قبل التربية، ولا بد من معرفة للصراط.

هذا شيء ذكره ربي عز وجل منذ أن حُملنا الأمانة.

لما حمل الله تعالى الأمانة للإنسان قسم الناس ثلاثة أقسام، قال الله تعالى: ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)) ((سورة الأحزاب: (72) – 73)).

ذكر الله من قَبلَ الأمانة في الظاهر دون الباطن، وهم المنافقون، ومن ردَ الأمانة في الظاهر والباطن وهم الكافرون ، ومن قبل الأمانة في الظاهر والباطن وهم المؤمنون.

وقال: (ليغفر) : ليدل على أن الفَسقة والعُصاة إنما هم في دائرة المؤمنين.

فالناس في التقسيم المِلي القرآني ثلاثة أصناف لا رابع لها (منافق، كافر ، مؤمن) والفسقة والفجرة يدخلون في مقام الإيمان، بمعنى أنهم في دائرة الإيمان ولم يخرجوا منه، قال الله تعالى عن الإنسان لما حُمل الأمانة: ((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) وقال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام فيما ذكر ربنا في سورة البقرة قال: ((رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)). (البقرة: 129).

وثبت عند أحمد وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: [أنا دعوة أخي إبراهيم]، فمحمد صلى الله عليه وسلم هو دعوة إبراهيم التي قال الله تعالى فيها: ((رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (البقرة :129).

استجاب الله لدعاء إبراهيم فقال: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))(الجمعة: 2)

والضلال المبين: هو الظلم والجهل.

إن عقدنا عرساً ونكاحاً فزاوجنا الظلم مع الجهل ودمجنا بين الظلم والجهل كان هو الضلال المبين.

وإن كانوا قبل: أي قبل أن يُبعث مُحَمَّد الذي بيَنَ إبراهيم لماذا بُعث، لأجل أ يزكيهم ويعلمهم.

و الشيخ الألباني –رحمه الله– عاش في هذه الدنيا لرسالة عظيمة كان عنوانها (التصفية والتربية) وأراد أن يحقق العلم والتزكية، فالعلم لا يُعرف على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه إلا بالتصفية، لأن الدين والعلم قد علق فيه عوالق، وظهرت بدع، ودخلت خرافات تحت سلطان الدين، والدين منه بريء، ولا يمكن أن نعمل بهذا العلم إلا بالمحاضن التربوية الصحيحة القائمة على علم صحيح، على حُسن فهم، وعلى قوة إرادة، فقوة الإردادة والعلم ينبغي أن تجتمع في النفس، فمنبع التصفية على قوة الإرادة، ومنبع العلم والتصفية إنما هو على قوة التصور.

فالمطلوب من العبد حتى ينجوَ عند الله عز وجل أن يرفع الظلم والجهل عنه، وبمقدار ما يرفع الظلم والجهل عنه يخرج من الضلال إلى الهداية، وينتقل من الهداية النظرية إلى مقام النعمة الذي ذكره الله تعالى في سورة الفاتحة.

إبراهيم عليه السلام دعا ربه وقال:{يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم}، الله جل في علاه قال لما ذكر آيات الأمانة:{إنه كان ظلوماً جهولاً}، والظلم لا يُرفع عن الإنسان إلا بالتزكية، والجهل لا يُرفع إلا بالعلم، ولذا قال الله تعالى:{هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته}، قال:{يزكيهم ويعلمهم}، يناسب ظلوم جهول قال:{يزكيهم ويعلمهم}.

فالشيخ الألباني –رحمه الله– إنما عاش لأجل إحياء والقيام بالمهمة التي بُعث بها النبي صلى الله عليه وسلم على الدين الذي ربى أصحابه عليه، وكان هذا الدين عملياً مُعاشاً معروفاً في واقعهم، هذا هي دعوة الشيخ الألباني–رحمه الله– ، وهذه هي لُب دعوة الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى–، وكان يقول دائماً: (يسعنا ما وسع العلماء من قبلنا) وكان ر–حمه الله– يعني بذلك أي قبل ظهور الأئمة الأربعة رحمهم الله.

ولذا قضت سُنة الله في شرعه وفي كونه الله قال: ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)) سورة الشرح (4) والله قال: ((إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)) سورة الكوثر (3) قال بعض السلف في تفسير قول الله تعالى: ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)) سورة الشرح (4) كل من دعا إلى سُنة النبي صلى الله عليه وسلم ذكره مرفوع إلى قيام الساعة، وكل من كان شانئاً بعيداً عن سُنة النبي صلى الله عليه وسلم فله نصيب من قوله تعالى: ((إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)) سورة الكوثر (3).

مُر بالعلماء، واقرأ تراجمهم ، وهم بعشرات الألوف على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وأمصارهم وأعصارهم، فإنك تجد ألوف مؤلفة، عشرات الألوف وزيادة لم تسمع بهم ولم يبلغ خبرهم أذنك بعد وأنت طالب علم، ولكنك إن مررت بطائفة من أهل العلم ممن كانوا يقيمون السُنة ويدعون إلى الكتاب والسُنة فإن قلبك يرقص فرحاً، وإن أخبار هؤلاء الأئمة الكبار الكبار (كأحمد ابن حنبل)، و (شيخ الإسلام ابن تيمية)، و (ابن كثير)، و

(الذهبي)، و (ابن القيم)، و (ابن رجب) إلى غيرهم، في سلسلة وفي عِقدٍ جميل عظيم، فإنك تفرح ، وقبلك يرقص فرحاً حينئذ.

الشيخ الألباني –رحمه الله– كان جاداً في دعوته، ولذا هذه الأمور انعكست على خِصال وُجِدت في الشيخ الألباني–رحمه الله– لمسناها.

ولي مع الشيخ الألباني –رحمه الله– في بعضهايمشاهدات، وبصمات، ووقفات، لعلي أستطيع أن أذكر شيئاً، ولعله يفوتني شيء كثير.

الشيخ الألباني –رحمه الله– رحمه الله تمتاز شخصيته بعبارات كان يقولها وهو يمزح كان يُكثر من ترددها كان يقول: أنا لا أعرف المزح، الشيخ الألباني –رحمه الله– في حياته جاد، والشيخ الألباني –رحمه الله– صاحب رسالة، والشيخ الألباني –رحمه الله– اتضح له ماذا يريد من هذه الحياة، وبقي على اضطراد منذ أول دعوته إلى وفاته، ما يزيد عن ستين سنة وهو يدعو إلى مشروع (تقريب السُنة بين يدي الأمة).

قبل حافظ الأسد في حكومة الأتاسي في سوريا في بعض المجالس لجامعة الدول العربية أرادوا أن يتبنوا مشروعاً فيه جمع لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وطبعاً هذا الكلام قديم،(سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هجري الموافق ألف وتسعمائة وستين ميلادي) عُقد مؤتمر، وكان فيه مندوبون عن سائر البلاد العربية، وكان هدفه جمع السُنة النبوية، كان وزير الأوقاف آنذاك محباً للشيخ الألباني–رحمه الله– ، عارفاً بهمته وحبه للحديث النبوي، عُقد المؤتمر في القاهرة، وكانت هناك تصدر مجلة أقتنيت مُصورتها اسمها (أنت تسأل وصوت العرب يجيب)، في تلك الحِقبة عملت لقاء مع الشيخ الألباني–رحمه الله– ، عدد خاص في حِقبة من الحقب كان اللقاء مع الشيخ الألباني–رحمه الله– ، والشيخ الألباني –رحمه الله– في سنة ألف وثلاثمائة وثمانين زار جمعية أنصار السُنة المحمدية وألقى محاضرات هناك في

مصر، وكُتب هذا الخبر وغُطي في مجلة (الهدي النبوي) التي كانت تصدر آنذاك ورئيس تحريرها رئيس جمعية أنصار السُنة المحمدية الشيخ عبد الرحمن الوكيل –رحمه الله–.

الشاهد اجتمعوا في القاهرة ووزعوا الأحاديث على المواضيع، وكل بَلدة أخذت نوع من أنواع الأحاديث، وكان نصيب سوريا –طبعاً نصيب سوريا– نصيب الشيخ الألباني –رحمه الله– لأن الشيخ هو الذي يمثل سوريا، الشيخ الألباني –رحمه الله– بَعد ما جاء الأردن، بعد أكثر من حوالي عشرين سنة الشيخ –رحمه الله– استقر في الأردن، وزارها بعد حوالي سبعة عشر عاما، فكان نصيب سوريا آنذاك أحاديث البيوع والمعاملات، وما ورد فيها، ثم انفض المجلس، جاء المجلس العام القادم، الشيخ الألباني –رحمه الله– عاد إلى مكتبته كعادته.

ما هي عادته رحمه الله؟

أنه لا يعرف المزح.

اشتغل الشيخ الألباني –رحمه الله– في موسوعة البيوع، ليل نهار، يعمل، تعب الشيخ الألباني–رحمه الله–.

والله عندما كنت أزور الشيخ –رحمه الله– في النهار أرى عينيه بين يديه، من الانتفاخ وشدة السهر، والشيخ الألباني –رحمه الله– في اوآخر حياته كان أكله وشربه وصلاته أقل من ست ساعات، وباقي الوقت في البحث والعلم.

جاء العام القادم، وجاء اللقاء، طبعاً الشيخ الألباني –رحمه الله– في العام الذي بعده أتى بموسوعة أحاديث البيوع معه جاهزة، فلما حصل اللقاء قالوا: نحن اتفقنا للعام الماضي على توزيع المواضيع، وهذا العام نريد نصرف الميزانية لعدد الباحثين والمكاتب و..ألخ، (الأعمال

الإدارية القاتلة في هذا الزمان)، أرادوا بَعد يحددوا كل دولة كم باحث، وما هي الأموال والميزانية.

فالشيخ الألباني –رحمه الله– قال لهم: هذه موسوعة البيوع، موسوعة كاملة جاهزة، هذا نصيب سوريا، فما كاد أحد أن يصدق أن الشيخ الألباني –رحمه الله– أتم الجميع الذي قد ورد في السُنة من أحاديث البيوع بمثل هذه الفترة.

هذا أمر تميز به الشيخ الألباني –رحمه الله– ، تميز الشيخ –رحمه الله– بهمة ونهمة تذكرك بالقرون الأولى.

الشيخ الألباني –رحمه الله– طبع كتاب فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، وأراد الناشر أخانا صاحب مكتبة المعارف أن يعيد نشره فقال: لا تطبع الكتاب حتى يقرأه فلان وأشار إلي –رحمه الله–، وكان يحسن الظن بي وبمعرفتي للمخطوطات قال: لا تطبع الكتاب إلا لما يقرأه فلان ، وسأقرأ لكم صفحة منه ولي تعليق وتفصيل .

الشيخ الألباني –رحمه الله– كان يتمنى أنه لو حقق (كتاب ذم الملاهي)، (لأبن أبي الدنيا)، والشيخ الألباني –رحمه الله– مرض فترة ، كان مرضه في عيونه، وكان الطبيب ينصحه أن لا يقرأ حتى عينه تهدأ، طبعاً الشيخ الألباني –رحمه الله– عكف على المكتبة الظاهرية، فُرغت له غرفة في المكتبة الظاهرية، كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يبيت فيها، فمر بجميع مخطوطات المكتبة الظاهرية، وفرغ جميع الأحاديث بأسانيدها بخط يده في أربعين مجلدة، وما زالت الأربعون مجلدة محفوظة.

في قصة عجيبة ذكرها الشيخ الألباني –رحمه الله– في موضوع ذم الملاهي، من اللطائف الشيخ الألباني–رحمه الله– وَكَل غيره لينسخ وهو حتى يريح نفسه كان يراجع المنسوخ على المخطوط، فسمعت الشيخ الألباني يقول –رحمه الله–: وأنا أراجع لم أحسن قراءة كلمتين

من المخطوط، وأطلت النظر فيهما ولم أفلح، حتى نمت، فلما نمت، والمخطوط بجانبي، رأيت في المنام أن هاتين الكلمتين: (فردا فردا)، قال: فلما استيقظت كتبت (فردا فردا)، ثم رجعت فنمت ثم لما استيقظت في الصباح راجعت ما كتبت على المخطوط، فإذا الكلمتان اللتان كتبتهما (فردا فردا) هما اللتان في المخطوط.

علام يدل هذا؟

يدل على أن الشيخ الألباني –رحمه الله– مشغول في المنام بالعلم، وأن الله عز وجل يؤيده في المنام ،فالرؤى جند من جند الله يؤيد الله بها من يشاء من الصالحين من عباده.

فكتاب ذم الدنيا لما ابتدأوا بنسخه وجد الشيخ الألباني –رحمه الله– فيه ورقة ضائعة من المخطوط، ويا لله لما يجد إنسان تعلقاً وحباً في كتاب تراثي ثم يتفاجأ بعد أن يمضي فيه أن يجد فيه نقصاً.

اسمع ماذا يقول الشيخ الألباني –رحمه الله– عن سبب وضع هذا الفهرس –فهرس المخطوطات الظاهرية – .

عندما الشيخ الألباني –رحمه الله– أعطاني إياه نظرت وقرأت فوجدت أخطاء شنيعة في الكتاب، وتفاجأت وترددت ماذا أقول للشيخ الألباني –رحمه الله– ، والشيخ الألباني – رحمه الله– قال لي: أكتب الاخطاء في الهامش وارمز لاسمك، –أكتب اسمك وراء كل رمز–، وكان هذا أمراً جازماً حازماً حاسماً من الشيخ –رحمه الله– لي بهذا الأمر ، ثم قال أكتب المقدمة، ثم قال لي الشيخ الألباني –رحمه الله– أنا ما ألفت هذا الكتاب، هذا الكتاب قصاصات، ملحوظات على دفتر خاص لي كتبته بمناسبة، ثم أُخذت مني هذه الأوراق وطبعت، وهذا فهرس المخطوطات وضع له القبول، ولوضعه قصة اسمعوها حتى تعلموا همة الشيخ الألباني –رحمه الله– ونهمته في الطلب رحمه الله.

يقول الألباني رحمه الله: لم يكن ليخطر في بالي وضع مثل هذا الفهرس، لأنه ليس من اختصاصي، وليس عندي متسع من الوقت ليساعدني فيه أو عليه، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه، فقد ابتليت بمرض خفيف أصاب بصري منذ أكثر من أثني عشر عاماً، فنصحني الطبيب بالراحة وترك القراءة والكتابة والعمل في المهنة –العمل في مهنة تصليح الساعات–.

سمعتُ الشيخَ الألباني –رحمه الله– يقول: كنت اشتغل وأُصلح ساعات، فإذا اكتسبتُ رزقَ اسبوعٍ أو أسبوعين غَلقّتُ المحل، حتى ينتهي الرزقُ وأنشَغِلُ في العلم، فإذا انتهى الرزقُ أرجعُ فأفتَح المحل.

لم يكن الشيخ الألباني–رحمه الله– يَمُدُ يده لأحد، وكان عفيفاً عزيزَ نَفسٍ.

قال: فنصحني الطبيبُ المختصُ بالراحه وتركِ القراءةِ والكتابةِ والعملِ في مهنة في تصليح الساعات مقدار ستةِ أشهر، فعملتُ بنصيحتِهِ أولَ الأمرِ، فَتَرَكتُ ذلكَ كلهُ نحوَ أسبوعين، ثمَّ أَخَذَتْ نفسي تراودني وتُزيِّن لي أن أعملَ شيئاً في هذه العطلةِ المملةِ، عملاً لا ينافي بزعمي نصيحته، فتذكرتُ رسالةً مخطوطةً في المكتبةِ اسمها (ذم الملاهي) للحافظ بن أبي الدنيا لم تطبع فيما أعلم يومئذ، فقلتُ: ما المانع من أن أُكَلِّفَ من ينسخها لي؛ وحتى يُتِمَ نَسْخُها ويأتي وقتُ مقابَلتِها بالأصلِ يكونُ قد مضى زمنٌ لا بأسَ بهِ من الراحةِ، فبإمكاني يومئذٍ أن أقابِلها وأراها، وهي لا تستدعي جهداً ينافي الوضعَ الصحيّ الذي أنا فيه، ثمَّ أُحقِقُها على مهل، وأُخرّجُ أحاديثها ثم اطبعها، وكلُّ ذلكَ على فتراتٍ، لكي لا أشُقَّ على نفسي، فلما وصل الناسخُ إلى منتصفِ الرسالةِ أَبلغني أنَّ فيها نقصاً (يوجد في المخطوطة نقص) فأمرتُهُ بأن يتابعَ نسخها حتى ينتهيَ منها ثُمَّ قابَلْتُها معه على الأصلِ، وجاءَت قصة فرداً فردا (هنا جاءَتْ فرداً فردا)، فَأَمَرْتُه بأن يتابعَ نسخها حتى يتنهي منها، ثمَّ قابَلْتُها

معهُ على الأصل، فَتَأكَدّتُ من النقصِ الذي أشارَ إليهِ وأقدِّرُهُ بأربعِ صفحاتٍ في منتصفِ الكُرّاس، فَأخَذْتُ أُفكرُ فيها وكيفَ يمكنني العثور عليها، (على ورقة أو ورقتيين من المخطوطة) والرسالة محفوظة في مجلدٍ من المجلداتِ الموضوعةِ في المكتبةِ الظاهريّة تحت مجاميع.

المجاميع: هي مجلد كبير فيه مجموع كبير من الرسائل بخطوط متنوعة قد يحتوي على عشر رسائل عشرين رسالة أربعين رسالة وبعض المجاميع فيه 400 رسالة لما تكون الرسائل صغيرة هذا يُسمى المجموع .

قال: وفي كل مجلدٍ منها على الغالب العديدُ من الرسائل و الكتب مختلفة الخطوط والمواضيع والورق لوناً وقياساً، فقلتُ في نفسي لعلَّ الورقة الضائعة وقعت سهواً في مجلدٍ من هذه المجلدات، فرَأيْتَني مندفعاً بكل رغبةٍ ونشاط باحثاً عنها على التسلسل، ونسيتُ أو تناسَيْتُ نفسي والوضع الصحيّ الذي أنا فيه، فإذا ما تذكرتهُ لم أعدم ما أتعلّل به من مثل القول: بأن هذا البحث لا يُنافيه، بأنه لا يصحبه كتابه ولا قراءه مضنية، وما كدْتُ أتجاوز بعض المجلدات حتى أخذ يسترعي انتباهي عنوانينُ بعض الرسائل والمؤلفات لمحدّثيين مشهورين وحفّاظ معروفين.

أنا أبحث عن الورقة وجدت رسائل نفائس وجدت كنوزاً دفينةً في بطون هذه المجاميع، فأقف عندها باحثاً فيها دارساً إيّاها، فأتمنى لو انها تنسخ وتحقق ثم تطبع، ولكنّي كنت أجدَها في الغالب ناقصة الأطراف والأجزاء، فأجِد الثاني دون الأول مثلاً، فلم أندفع لتسجيلها عندي، وتابعت البحث عن الورقة الضائعة، ولكن عبثاً حتى أنتهت مجلدات المجاميع البالغُ عددها (152) مجلد؛ وأنا أبحث عن الورقة الضائعة، مررت بـ (152) مجلداً مخطوطاً وليس مطبوعاً، بَيْدَ أني وجدتَني في أثناء المتابعه أخذْتُ أسجل في مسوّدتي

عناوين بعض الكتب التي راقتني، وشجّعني على ذلك أنني عثرت أثناء البحث فيها على بعض النواقص التي كانت قبل من الصوارف عن التسجيل، ولما لم أعثر على الورقة في المجلدات المذكورة قلت في نفسي لعلها خيطت خطأً في مجلد من مجلدات كتب الحديث والمسجّلة في المكتبة تحت عنوان حديث، فأخذتُ أقلّبُ مجلداتها مجلداً مجلداً – مجلدات علم الحديث – حتى أنتهيت منها دون أن أقف عليها (الورقة الضائعة)، ولكني سجّلت عندي ما شاء الله من المؤلفات والرسائل، – سجلها وهو على السلم وهو جالس، وهو واقف ملحوظات خاصة به، التي هي فهرسة مكتبة المخطوطات الظاهرية– وهكذا لم ازل أعلِّل نفسي وأمنّيها بالحصول على الورقة، فأنتَقِل في البحث عنها بين مجلدات المكتبة ورسائلِها من علمٍ إلى آخر، حتى أتيتُ على جميع المخطوطات التي في المكتبة والبالغُ عددها نحو (10000) مخطوط، دون أن أحظى بهذه الورقة، ولكنني لم ينتابني اليأس بعد، فهنالك ما يعرف بالدشت، الدشت: جوارير فيها مخطوطات، أوراق مبعثرة وهو عباره عن مكدسات من الأوراق والكراريس المتنوعة التي لا يعرف أصلها، أوراق منثورة لا يعرفون أصحابها ما هي هذه المخطوطات ولا مؤلفها، فأخذتُ في البحثَ فيها بدقةٍ وعنايةٍ لكن دون جدوى، وحينئذ يَئِستُ من هذه الورقة، ولكني نظرت فوجدت أن الله تبارك وتعالى قد فتح لي من ورائها باباً عظيماً من العلمِ طالما كنتُ غافلاً عنه كغيري وهو أن في المكتبة الظاهريّة كنوز عظيمة.

–اسألُ الله ان يحفظها واسأل الله أن يبقيها في الشام أسال الله ألّا تنتقل هذه المخطوطات إلى إيران، اسأل الله أن تبقى في الشام–.

ما ندري أين المخطوطات الظاهريه الآن؟

علِمنا أنّ كثيراً من مخطوطات العراق أصبحت في تل أبيب، وعلمي بذلك يقين، وحَصَّلْتُ مخطوطة تعبير الرؤى لابن قتيبة المتوفي سنه 276 وكانت في البلاد الإسلامية وحصَّلت مُصورَتها المطابقة لوصف العلامة علي الطنطاوي وكانت بين يديه لما وصفها وكتب عنها مقالة في مجلة المقتبس التي كان رئيس تحريرها العلامة مُحَمَّد كرد علي، لما بحثتُ على المخطوطة وجدتها من تل أبيب وصورتها من تل أبيب وحققتها ونشرتها من وقت، إلى الله المشتكى.

يقول –رحمه الله–: وهو أن في المكتبة الظاهرية كنوزاً من الكتب والرسائل فيه مختلف العلوم النافعة التي خلَفها لنا أجدادنا وفيها من نوادرِ المخطوطات التي قد لا توجد في غيرها من المكتباتِ العالمية مما لم يطبع بعد، فلما تبيّن لي ذلك واستَحكمَ في قلبي استأنَفتُ دراسة مخطوطات المكتبة كلَها من أولها لآخرها للمرة الثانية في ضوء تجربتي السابقة التي سجلتُ فيها ما انتقيت فقط من الكتب، فأخذتُ أسجّلُ الآن كل ما يتعلق بعلم الحديث منها مما يفيدني في تخصصي، لا أتركُ شاردةً ولا واردة إلّا سجلتُه، حتى لو كانت ورقةً واحدة من كتابٍ أو جزءٍ مجهول الهوية، وكأنّ الله تبارك وتعالى كان يَعِدُّني بذلك كلهِ للمرحلة الثالثة والأخيرة وهي دراسة هذه الكتب الحديثية دراسةً دقيقة واستخراج ما فيها من الحديث النبوي مع أسانيده وطُرُقِه ، وغير ذلك من الفوائد.

فإني كنتُ في اثناء المرحلة الثانية ألتقط نُتَفاً من هذه الفوائد التي لم أعثر عليها إلا عفوا ، فما كدت أنتهي منها حتى تشبعت بضرورة دراستها كتاباً كتابا وجزءاً جزءاً، ولذلك فقد شمّرتُ عن ساعد الجد واستأنفت الدراسة للمره الثالثة، لا أدع صحيفةً إلا تصفحتها ولا ورقة شاردةً إلا قرأتها واستخرجتُ منها ما لم أعثر عليه من فائدة علمية وحديث نبوي شريف، فتجمع عندي بها نحو أربعينَ مجلد في كل مجلد نحو 400 ورقة، في كل ورقة حديث واحد، مَعزُواً إلى جميعِ المصادر التي وجدتُها فيه مع أسانيدهِ وطُرُقِه، ورتّبتُ

الأحاديث فيها على حروف المعجم، ومن هذه المجلدات أُغذّي كلَّ مؤلفاتي ومشاريعي العلمية، الأمر الذي ساعدني على التحقيق العلمي الذي لا يتيسر لأكثرِ أهلِ العلم لا سيّما في هذا الزمان الذي قَنَعوا فيه بالرجوعِ الى بعض المختصرات في علم الحديث، وغيره من المطبوعات.

فهذه الثروة الحديثيّة الضخمة التي توافرت عندي ما كنتُ لأحصل عليها لو لم ييسِّر اللهُ لي هذه الدراسة بحثاً عن الورقة الضائعة، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فالشيخ الألباني –رحمه الله– عِلْمُهُ في الحديث جَمَّعْ جميع الأحاديث، وعلى كل بطاقة جَمَّعَ طُرق كل حديث، وجعل الأربعين مجلدة هي المادة الخام إن جاز التعبير لكتبه كلها.
الأربعين مجلدة رأيتُ الشيخ الألباني –رحمه الله– وضعها في ملاقط ؛ و واضع الملاقط فيها حبل؛ ورابط الحبل ببكرة، والشيخ الألباني –رحمه الله– جالس والحبلُ طويل، وفيه أربعين كتاب، والشيخ الألباني –رحمه الله– يحرّك البكرة، والأربعين كتاب يمرّوا من أمامه، فيَأخد ما يريد ثم يُرجِع الكتاب إلى ما يُريد وهو جالس.

لذا الشيخ الألباني –رحمه الله– مهنته في الساعات أفادت في دقته في الحياة، وأفادت في ذوقٍ رفيع، وفي ترتيب بديع.

مَن يُصدق مِن الناس أن الشخ الألباني –رحمه الله– كان يربي في بيتهِ وفي حديقةِ منزله أرانب ودواجن.

رأيتُ خلف الشيخ الألباني –رحمه الله– أنه واضع بريك – بريك سيارة – يَدفَعُ بالبريك بالهواءِ، فيحضر الماءَ والطعام فينزل للدواجن والأرانب، فيُطعِمُها وهو جالس على المكتب.

المصعد الذي كانَ يصعدُ عليه من سيّارتِه إلى مكتبتِه كان من تصميمه، وكان من صنيعهِ، وكان من فِكْرِه رحمه الله تعالى.

سمعتُ الشيخ الألباني –رحمه الله– عجباً من شركات السيارات العالمية، لماذا لا تصنع سيارات فيها بورصات ثابتة ودائمة، وكان يقول: هذه البورصة لو وجدت في السيارة فهذا مطمع لبعض الشركات لأن تُرَوِجَ سلعها، فالمسلمون حريصون على الصلاة.

فالشيخ الألباني يمتاز –رحمه الله– بعقل دقيقٍ للغاية.

الشيخ الألباني –رحمه الله– أول ما رأيتُه (سنة 1977) ، وكان هذا أول قدوم للشيخ الألباني –رحمه الله– إلى الأردن ، وكان في الأردن في ذلك الوقت تنظيم جهادي، وهذا التنظيم يسمى (الطليعة) ، وكان موجود في مخيم البقعة، وكان عدد أفراده قرابة الثلاثين أو أقل من ذلك بقليل، كان من أفراد هذا التنظيم أخونا فضيلة (الشيخ الدكتور باسم الجوابرة)، اسأل الله يحفظه، فاتصلوا بالشيخ الألباني –رحمه الله–، قَدِمِ الشيخ الألباني –رحمه الله– ودخل الأردن سنة 1977، ودخل وقت صلاه العشاء، وكان موعده مع الشباب في هذا التنظيم، وكان هذا التنظيم يكفر الناس، يحمل لوثة تكفير، فلما دخل الشيخ –رحمه الله– قال: أنا لم أصلي، فقال لهم: أصلي أنا إمام أم أنتم؟

قال –رحمه الله–: أنا لا أكفركم وأنتم تكفروني، فأنا أصلي خلفكم.

حدّثني بعض من حضر في تلك الليلة، قال جلسَ الشيخ –رحمه الله– معهم من العشاء إلى الفجر، فخرجَ الفجرُ وجميع أفراد التنظيم قد تابوا من التكفير.

شيخنا الألباني –رحمه الله–كان في مناظراته عجيباً.

وكان للشيخ الألباني –رحمه الله– هيبة، وسمعتُ هيبة الشيخِ الألباني –رحمه الله– من كبار علماء الأمة.

جاءنا العلامة المحقق المدقق المعروف بشدةِ تَنقيره ودقةِ مؤلفاته وكثرة جَرده، وعلو كعبه، وحسن أسلوبه، وهو شيخنا العلامة الشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله–، جاءنا إلى الأردن، وخرجنا أنا وفضيلة الشيخ علي الحلبي –رحمه الله–، وبعض من الإخوان معه في رحلة إلى جهات الأغوار، وانشغلنا في الغداء، فلما ذهبنا لصلاة العصر، وجدنا الجماعة قد فرغت، فقال الشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله–: نصلي جماعة، فقلنا مذهبنا، وكنت حديث العهد في تأليف كتاب (إعلام العابد في حكم تكرار الجماعة في المسجد الواحد) وأستحضر الأدلة، ولكن للشيخ بكر أبو زيد مهابة وعِلم وكِبر سن وفضل، فقلتُ للشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله– يا شيخ شيخنا الألباني –رحمه الله–موجود، فما رأيك أن تتصل وتأخذ موعداً مع الشيخ وتجتمع معه، وتتناقش معه في بعض المسائل، فَضحِكَ الشيخ بأعلى صوتِه على رزانتِه وقال: إذا اجتمعتُ مع الشيخ الألباني –رحمه الله– لا أستطيع أن اهمس بحرف ولا أن أحرِّك شفتي في حضوره.

شيخنا الألباني –رحمه الله–كان يقول: رأيتُ أربعةً من كبار علماء الأمة، وهم:

1– الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي.

2 – الشيخ تقي الدين الهلالي.

3 – الشيخ عبدالعزيز بن باز.

4 – الشيخ عبيد الله المباركفوري الهندي صاحب الكتاب البديع الذي يغفل عنه كثير من الإخوة ، وأنصح الإخوة إذا عقدوا مجالس قراءة أن يقرأوه "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" ، كتاب بديع.

سمعت أنهم اجتمعوا في منى، وكان السائل يسأل، فكان الجميع يأبى أن يجيب والشيخ الألباني –رحمه الله– حاضر، فكان للشيخ الألباني –رحمه الله– مهابة.

وكانت له –رحمه الله– قوة حجة.

الشيخ الألباني –رحمه الله– قال: كنت في سفر بعض الأسفار في حافلة، وكان معي قسيس، فقال: كنت أحثه على الكلام، حتى أتناقش أنا وإياه، قال: فلما تناقشت وإياه انقطع، ولم يحتج بشيء، توقف، وهذا يذكرني بكلام العلماء في الباقلاني ، ذكر الإمام الذهبي في السير في المجلد 17 في السير، أن حاكم الروم طلب من المسلمين من يناظر القساوسة فأرسلوا إليهم الباقلاني يناقشهم في عقر دارهم، وكان حاكم الروم أراد أن يصنع شيئًا للباقلاني –رحمه الله–، قال الإمام الذهبي في ترجمة الباقلاني.في المجلد17 صفحة، ص 191 – 192 ، قال: وقد سار القاضي رسولا عن أمير المؤمنين لطاغية الروم، وجرت له أمور منها : أن الملك أدخله عليه من باب خوخة، –باب قصير– ، مايستطيع يدخل إلا وهو راكع منحني الرأس ليدخل راكعاً للملك، ففطن لها القاضي ودخل بظهره، قال : ومنها أنه قال لراهبهم : كيف الأهل والولد؟

أول ما التقى بالراهب سلم عليه قال: كيف الأهل والولد ؟

فقال الملك: مه، أما علمت أن الراهب يتنزه عن ذلك؟

فقال سبحان الله تنزهونه عن هذا ولا تنزهون رب العالمين عن الصاحب والولد؟

هذا سمو في المناظرة.

وقيل: أن الطاغية سأله كيف جرى لزوجة نبيكم؟

يعرض بعائشة رضي الله تعالى عنها.

فقال :كما جرى لمريم بنت عمران، وبرأهما الله تعالى، لكن عائشة لم تأت بولد، ومريم جاءت بولد.

فأفحمه.

فالعلماء إن ناقشوا يناقشون بقوة وفهم.

الشيخ الألباني –رحمه الله– من مناقشاته العجيبة الغريبة التي وقعت له، وشاهدت مناقشات الشيخ الألباني –رحمه الله– في بعض المواقف ، وتتذكر ماقاله "مُحَمَّد بن حسن الشيباني" "للإمام الشافعي"، قال: كان الشافعي إذا ناقش أحدا كأنه أسد فارغ فاه، –أمامك أسد فمه مفتوح ،يبلع بلعاً–.

ولذا من اللطائف جلس الشيخ الألباني –رحمه الله– مع شخص يناقشه، ويزعم أنه يعلم الغيب، المناقش يزعم أنه يعلم الغيب، فجلس الشيخ الألباني–رحمه الله– مع المناقش، فقال الشيخ الألباني –رحمه الله–: أناقشك بشرط، فقال الذي يعلم الغيب: ما هو؟ قال: غُلبت، أنتهت المناظرة، لازم تعرفه، ما دمت تعلم الغيب ينبغي أن تعرفه.

فكان الشيخ الألباني –رحمه الله– فطناً جداً.

سئل الشيخ الألباني –رحمه الله– في بعض المجالس مما لي فيه تذكر مع الشيخ الألباني –رحمه الله–، سئل الشيخ الألباني –رحمه الله– في بعض المجالس عن حكم صلاة السنة البعدية حال الجمع بين الصلاتين في الفريضة الأولى، –لما نجمع بين الظهر والعصر حكم صلاة سنة الظهر البعدية، وحكم صلاة سنة المغرب البعدية لما نجمع بين المغرب والعشاء–.

أنا ولله الحمد من سنة (19 79)كنت طالب في التوجيهي، كتبت كتابي (الجمع بين الصلاتين)، وجهدت أن أقرأ كل ما وصلت إليه يدي، والله عز وجل أراني بعض المشكلات في المنام، رأيت في بعض الكتب، وراجعت ووجدت، فأحسب أني صدقت ربي فيه هذا الكتاب، وأرجو الله أن يكون غيره كذلك، فأزعم أني متمكن من موضوع الجمع بين الصلاتين ومستحضر النصوص والنقول والتوجيه، والتصحيح، والتضعيف في المسألة ،

فلما الشيخ الألباني –رحمه الله– قال لا تصلى، فأنا مباشرة قلت للشيخ الألباني –رحمه الله: القبلية تصلى، قبلية الظهر تصلى حال الجمع بين الصلاتين ، البعدية للعشاء تصلى؟

قال الشيخ الألباني –رحمه الله–: تصلى.

قلت:ما الفرق؟ ما الدليل ؟

الشيخ الألباني –رحمه الله– كان يقول: البعدية للظهر والبعدية للمغرب لا تصلى إلا بدليل.

فأنا قلت البعدية للعشاء أنت تقول بصلاتها، والقبلية للظهر أنت تقول بصلاتها.

فما الفرق؟

فضحك الشيخ الألباني –رحمه الله– ، ثم نقلني على وجه العجلة، وباغتني بسؤال عجيب يدلل على ملكة نفس، وعلى فقه نفس، قال لي: رجل فاتته السنة القبلية غير الجمع، متى يقضيها؟

قلت: الفقهاء يقولون: له أن يصليها بعد الفريضة ، وله أن يصليها بعد السنة البعدية.

فقال الشيخ الألباني –رحمه الله–: عندي إدخالها بين الفريضة والسنة البعدية يحتاج لدليل خاص، ولا يجوز إلا أن تصلى بعد الفريضة؟

فهمت؟

قلت على استحياء، نعم يا شيخنا، بعدها فهمت ماذا يريد الشيخ الألباني –رحمه الله–، يريد الشيخ الألباني –رحمه الله–يقول:حال الجمع بين الصلاتين هنالك هيئة جديدة للصلاة، وهذه الهيئة الجديدة ينبغي أن نبقى محافظين عليها، وإذا أردنا أن نغيرها فإن الشرع ألغى البعدية للمجموعة الأولى، فإذا أردنا إثباتها فإن الأصل في العبادات المنع،

فإثباتها يحتاج لدليل، وأما إن حافظنا على هذه الهيئة التركيبية الجديدة المجموعة بين الصلاتين فلا تسأل عن الصلاة قبلها وعن الصلاة بعدها، فأبقي مابقي على ماهو عليه، وأحتاج إلى دليل خاص على السنة البعدية.

الشيخ الألباني –رحمه الله– له نوادر كثيرة، أول ما رأيت الشيخ الألباني–رحمه الله– كان نازل للأردن سنة (1979)، وكنت وقتها في الثاني الثانوي، قبل التوجيهي ، ورأيت الشيخ الألباني –رحمه الله– في مكتبة كانت من أوسع المكتبات المعروفة في الأردن، مكتبة خاصة لبعض طلبة العلم هداه الله، ورأيت للشيخ الألباني –رحمه الله– فيها زاوية وسادة وفراش لما يتعب ينام عليه، والله ما غبطت أحداً كما غبطت الشيخ الألباني –رحمه الله–في هذا المكان، يبقى بين الكتب يعمل حتى يتعب، فلما يتعب ينام.

فالشيخ الألباني –رحمه الله– في قوته وجلده في العطاء وفي البحث لا أظنه إلا موصولاً بالسلف الصالح، ولا أظن أن أحدا في هذا الزمن يجاريه في هذا المكانة.

الشيخ الألباني –رحمه الله– دخل عليه بعض الطلبة، وكان يبحث عن حديث ولم يجده وتعب وهو يبحث ، ثم يسر الله له اللقاء به في ثاني يوم، فقالوا للشيخ الألباني –رحمه الله– هل وجدت الحديث الذي كنت تبحث عنه؟ فقال الشيخ الألباني –رحمه الله–: لم أنم حتى رأيته، لا نامت أعين الجهلاء.

حدثني القيم على مكتبة حي الزاهر في مكة ، وكانت أبنة لشقيق الشيخ الألباني –رحمه الله– تحت بعض إخواننا السوريين ممن يسكنون في ذاك الحي يقول: فاجأنا الشيخ الألباني –رحمه الله–، جاء قبيل العصر في رمضان إلى المكتبة، والمكتبة عامة، المكتبة كبيرة، قال: فصلينا في مسجد الحي ثم لما الشيخ –رحمه الله– معنا رجعنا ، العادة أن نغلق بعد العصر المكتبة ما نرجع ، فقال الشيخ الألباني –رحمه الله– معنا دخل يبحث، قال: مضت ساعة،

ووقت المغرب قريب، فقلت للشيخ الألباني –رحمه الله–: يا شيخ نحن بأمرك، ووقت دوامنا العصر، ونفرغ العصر، ونحن بأمرك.

ماذا تأمرنا؟

قال الشيخ –رحمه الله–: أنت جاد.

قال: نعم.

قال له الشيخ الألباني –رحمه الله–: غلق المكتبة وارجع غداً، غلق علي المكتبة، وأخرج، وأرجع لي بكرة، هذا أمر طبيعي عند الشيخ الألباني –رحمه الله–، أن يصل الليل بالنهار وهو يبحث وينظر في الكتب، هذا أمر غير متكلف ولا متصنع.

ولذا ذكرت لكم لما كان في الظاهرية يغلقون أبواب المكتبة والشيخ الألباني –رحمه الله– يبقى في المكتبة أشهر طويلة، ينام مقدار الحاجة، ويأكل مقدار الحاجة ثم يعود للقراءة والبحث.

هذا يذكرنا بقصص كثيرة مذكورة في تراجم العلماء .

ولك أن تقول أيضا في عطاء الشيخ الألباني –رحمه الله–، أنا أشبه الشيخ الألباني –رحمه الله– بالخيل المضمرة، الخيل المضمرة كلما ركضت نشطت، وشدة الركض لا يتعبها، والله كنا وشاهد على هذا مجموعة كبيرة من إخواننا، وكنا آنذاك في أوج قوانا، في أوج شبابنا، كنا ندعا لطعام غداء في مزرعة أو في بيت بعض إخواننا في الريف، ثم يجلس الشيخ الألباني –رحمه الله–، ويبدأ يتكلم، ثم يؤذن العصر، ثم يجلس الشيخ الألباني –رحمه الله– يتكلم، ثم يؤذن المغرب، ثم يجلس الشيخ الألباني –رحمه الله– يتكلم، ثم يؤذن العشاء ثم يجلس الشيخ –رحمه الله– يتكلم لبعد العشاء، والله كان هذا حاله، في بعض الاحايين أرى

الإخوة ناموا وهم جالسون، والشيخ الألباني –رحمه الله– كالخيل المضمرة كلما تكلم كلما ازداد نشاطاً وازداد عطاءاً، وكان الشيخ الألباني –رحمه الله–:أنا معكم حتى الفجر.

الشيخ الألباني–رحمه الله– في محافظته على وقته كان آية من آيات الله جل في علاه، والله كنت لما يعطيني الشيخ الألباني –رحمه الله– موعد ابتهل الفرصة، واسأل الشيخ الألباني –رحمه الله– عن بعض المشكلات، مجرد ما أسكت، الشيخ الألباني –رحمه الله– يمسك الورقة والقلم ويكتب، لما كنت أقرأ عليه تعليقاتي على هذا الكتاب وأعطاني الشيخ الألباني –رحمه الله– الأصول من السلسلة الضعيفة الخامس أخرجه من كيس حتى أراجعه، فأول ما أخرجه، بكيت، وانهمرت دموعي، تدرون الشيخ الألباني –رحمه الله– كان يكتب على أوراق هدايا، وعلى (الباكيتات البنيات)، إن كنتم تذكرون ، الباكيت البني الذي كان يوضع فيه الرز والسكر للبيع، كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يكتب على هذا الورق، وكان الشيخ الألباني –رحمه الله– يقول: ما كان عندي مال اشتري ورقاً، فكنتُ أكتب على مثل هذا الورق، وبعض أصول السلسلة الصحيحة والضعيفة كتبها على مثل هذا الورق، فكان الشيخ الألباني –رحمه الله– فقيراً.

أول ما جاء الشيخ الألباني –رحمه الله– الأردن كان يتعالج في مستشفى البشير، ويقف على الدور، ويبعث الأخوة يأخذون له دور، وثم يأتي بعد حين حتى يدخل على الطبيب العام في المستشفى العام، فكان الشيخ الألباني –رحمه الله– فقيراً جداً في أول قدومه للأردن.

الشيخ الألباني –رحمه الله– جاء للأردن سنة (1977)، تنقل فيها وذهب للعقبة، وجد مجموعة من إخوانا في العقبة وله معهم مجالس، والمجالس مسجلة، وأظن أنها على الأنترنت، حصلت على أشرطة، وأحب الشيخ الأردن، وأخانا الشيخ (نظام سكجها) –رحمه الله– ناسب الشيخ الألباني –رحمه الله– وأصبحت له أبنة في الأردن، وابنتهُ من النابغات في

العلم، والمتقدمات، كانت تساعده في علم الحديث، وما زالت لها عناية ببعض كتب الشيخ الألباني –رحمه الله– ، والشيخ الألباني –رحمه الله– أحب الأردن، جاء إليها سنة (1979) واستقر فيها سنة (1980)، وكان الشيخ الألباني –رحمه الله– ممنوع من المكوث في الأردن، وحاولوا محاولات كثيرة لإخراج الشيخ الألباني –رحمه الله– من الأردن، وتدخل الشيخ عبدالعزيز بن باز، وبعض الفضلاء، ثم كان هناك دراسة لدعوة الشيخ الألباني –رحمه الله–، وثبت ولله الحمد والمنة .

فدعوة الشيخ الألباني –رحمه الله– دعوة أمن وإيمان، ودعوة لطاعة أولياء الأمور، وليست دعوة لا للتفجير ولا للتكفير، وكان أعداء الشيخ يسمون الشيخ الألباني –رحمه الله– (وهابي)، (تكفيري) يكفر الناس.

وكان بعض طلبة الشيخ الألباني –رحمه الله– أواخر سنة السبعين وأوائل الثمانين لما استقر الشيخ الألباني –رحمه الله– في الأردن كان بعض الطلبة عندهم تهييج وحماس شديد، فالشيخ الألباني –رحمه الله– ظُنَ أنه مثلهم، وسمعت شيخنا الألباني –رحمه الله– يقول: جاءني الشيخ نوح القضاة، –الشيخ نوح القضاة– نحسبه والله حسيبه من أهل الصلاح، من أهل التقوى، ومحب للعلم والعلماء، فأراد أن يتثبت أنه هل الشيخ الألباني –رحمه الله– يكفر الناس، وهل هو على منهج التكفير.

فقال الشيخ الألباني –رحمه الله– للشيخ نوح القضاة: لو أنك سمعت رجلاً قام يصلي ركعتين سنة الظهر البعدية على مذهب الشافعية، –الجهر بالنية– فقال: أصلي ركعتين سنة الظهر البعدية لمحمد صلى الله عليه وسلم، وليس لله، هل تكفره؟

قال الشيخ نوح القضاة: كافر.

قال الشيخ الألباني –رحمه الله–: أما أنا لا أكفره، هذا جاهل، هذا يحتاج أن يُعلم، هذا أعلمه لا أكفره، حتى أن الشيخ نوح القضاة –رحمه الله– رحمةً واسعة قَبَل يدي الشيخ

الألباني –رحمه الله– ، ورأى فيه علماً، ورأى فيه سمتاً، ونصحه أن ينصح الطلبة المتحمسين،– بعض إخوانا متحمسين، يثيرون مشاكل كثيرة في الأماكن والمساجد –، فنصحه الشيخ نوح القضاة رحمه الله نصحه بأن ينصح بعض الطلبة المتحمسين، بأن يهدأ روعهم، وأن يخففوا حماسهم، وأن يتعقلوا، وأن يخدموا دينهم الخدمة التي يحبها الله تعالى، نحن في زمن نريد إخواني المصالح الغالبة وليست الخالصة.

فالشيخ الألباني –رحمه الله– أحب الأردن وبقي فيها، حاول بعضهم، وكتب لوزير الداخلية عندنا شاب شامي طائش يصعد على المنبر، ويكفر الناس، ويصول، وعنده انشقاق، أرجوا التنسيب بتسفيره ليسفر؛ فكاد الشيخ –رحمه الله– أن يسفر، ثم لما روجع ملف الشيخ الألباني –رحمه الله– وجد أنه لا يصعد المنبر، وليس بشامي، ولا يكفر، وليس بطائش، إنما هو عالم هادئ، جليل ، رزينٌ، فقيه، ، محدث، أصولي، متفنن، مخلصٌ، صادقٌ، خابتٌ، داعية إلى الله عز وجل على بصيرةٍ من أمره.

كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يجمع بين العلم والعمل، فكان الشيخ الألباني –رحمه الله– طوال حياته يصوم الاثنين والخميس، والشيخ الألباني –رحمه الله– حتى في الرحلة إذا خرج، حتى القيلولة لا يتركها، كان يُقيل في سيارته، وكان الشيخ الألباني –رحمه الله– يدعو إلى السنة ويتحسر على ترك الناس للسنة،حتى أنه لما كتب في وصيته: مجرد موتي، أن تقرأ وصيتي، أن يكون دفني مباشرة، تغسيلي ودفني، فلما نقلت وصيته للشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله، قال الشيخ ابن عثيمين: رحمك الله يا إمام مُحَمَّد ناصر الدين الألباني علمت الناس السنة حياً وميتاً.

فالشيخ الألباني –رحمه الله– رحمه الله كان حريصاً أشد الحرص على السنة، وعاش لمشروع تقريب السنة بين يدي الأمة ، فعمل على تنقية الأحاديث وتصحيحها، وفرز الأحاديث الصحيحة والضعيفة وما شابه ذلك.

كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يلبس الوزرة لنصف الساقين في بيته، وكان يقول: إذا كنا

ما نستطيع أن نفعل السنة في الحياة في خروجنا من البيت فلا أقل من أن التزم سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في خلوتي، وأنا في مكتبتي، وفي بيتي .

وسمعته يقول: غفر الله لي، أنا الذي منعت الناس من قول: (لاإله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) عشراً والمصلي ثاني رجليه في صلاة الفجر وفي صلاة المغرب، قال كنت أضعف هذا الحديث، وانتشر عني تضعيفه، ثم رجعتُ إلى تصحيحه ولم ينتشر عني ذلك، غفر الله لي.

التصحيح والتضعيف عند الشيخ الألباني –رحمه الله– وتراجعات الشيخ الألباني –رحمه الله– هي تطبيقٌ عمليٌ لمقولة كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يلقنها لتلاميذه، كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يقول ويردد عبارة (العلم لا يقبل الجمود ولا الهمود) العلم بحث، هذه العبارة كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يحفظها، ويذكرها ويرددها كثيراً.

فعبارات الشيخ الألباني –رحمه الله– دلالة على علمه، أنظر إلى الحافظ ابن حجر له أحكام كثيرة، وكثير مما قيل فيه أنه تراجع أو أن الشيخ قد تناقض، هؤلاء ما فهموا منهج الشيخ بالكلية.

محافظة الشيخ الألباني –رحمه الله– على الوقت عجيبة، لما كنت أراجع الشيخ الألباني – رحمه الله– كان يلبس نظارات ويبقيها قليلاً، ويكتب، والنظارة بعيدة عن عينيه يكتب، فإن سألته فالشيخ –رحمه الله– ينظر إلي من فوق النظارات، عين علي، وعين على الكتاب، وكأنه يقول: سألت وأجبتك يكفيك، دعني وكتبي، دعني وبحثي، دعني ووقتي، فكان الشيخ الألباني –رحمه الله– آية من آيات الله في المحافظة على الوقت .

اتصل الشيخ الألباني –رحمه الله– بأخينا أبي همام السلفي، وكان يعمل وقتها مع عديل لي في الحدادة، فالشيخ الألباني –رحمه الله– قال لهم: في عندي باب، وهذا الباب انتقل بواسطته من مكتبتي إلى بيتي، ويفتح من الشمال إلى اليمين، فأريد أن يفتح من اليمين إلى

الشمال، فأخانا الحداد –أبي همام السلفي– يقول للشيخ الألباني –رحمه الله–: يا شيخ ما الفرق من أن تفتح الباب هكذا أو هكذا؟

قال الشيخ الألباني –رحمه الله–: عددت الخطوات، وجدت إن غيرت فتحة الباب يوفر علي خطوتين، والخطوتين مع كل يوم بدخولي غرفة المعيشة والمكتبة، الخطوتين مع مضي الزمن هذا يوفر علي وقت كبير.
في بعض المجالس كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يتحسر على بعض أوراقه التي تركها على سدة بيته في دمشق، فبعض إخوانا غامر وذهب إلى دمشق، وَدُلَ على بيت الشيخ ودخل على بيت الشيخ –رحمه الله– وأحضر الأوراق وجاء بها على عمان، وظن هذا الأخ أنه ستكون له عند الشيخ الألباني –رحمه الله– حظوة ما بعدها من حظوة، قرع جرس بيت الشيخ الألباني –رحمه الله–.

قال الشيخ الألباني –رحمه الله– من؟
قال الأخ: أنا فلان ذهبت إلى دمشق وأتيت بالأوراق.
فالشيخ الألباني –رحمه الله– قال له :ضعها خلف الباب وسهل الله طريقك.
فجاء مغضباً.

فقلت: لعلك ما أحسنت نيتك، فإن فعلت هذا من أجل الله حصل المطلوب، وإن أردت شيئاً غير الله فالشيخ الألباني –رحمه الله–يربيك.

فالشيخ الألباني –رحمه الله– يُعَلِم.

جاءه أحد إخوانا من لبانيا مرة يريد لقاء الشيخ الألباني –رحمه الله–، ونحن نعلم وقت فراغه من تأليف كتاب، كان يُقْبِل بكله وكلكلهِ عليه، وكان لا يقبل أن يدخل عليه شيء، بل كان الشيخ الألباني –رحمه الله– في بعض الأحايين يكتب على جرس بيته: لطفاً لا تقرع الجرس.

فجاءه الأخ من غير موعد، ولم يستقبله الشيخ الألباني–رحمه الله–، فالشيخ الألباني –رحمه الله– قال: أنا ما أعطيتك موعد، ما اتصلت بي، والوقت وقتي.

فكان الشيخ الألباني –رحمه الله–ينظمُ وقته تنظيماً شديداً.

الشيخ الألباني –رحمه الله– أقام عليه بعض الحركيين في بلادنا ثورة كبيرة في قضية تهجير الفلسطينين من فلسطين، والشيخ الألباني –رحمه الله– بين هذا في الصحيحة المجلد السابع على ورقةً، وذكرت هذا وصورت الورقة في كتابي (السلفيون وقضية فلسطين)، كتبت ونشرت مصورة ورقة الشيخ الألباني –رحمه الله–، والشيخ الألباني –رحمه الله–نقحَ المسألة وحررها، وقال: الواجب على الإنسان أن يُقيم في بلدةٍ يستطيع أن يُقيم دينه فيها، والنبيصلى الله عليه وسلم ترك مكة، وهي أحب البقاع إلى الله ليقيم لهم دينهم في المدينة، وأنا لا ألزم أحداً أن يخرج من فلسطين، لكن كنت أجيز أن ينتقل من مكان إلى مكان حتى يقيم دينه.

الشاهد قامت ثورة في الإعلام حول هذا الكلام، ولا زلت احتفظ بالقصاصات والمقالات التي نُشرت في الصحف والمجلات والتي أُقضع فيها قضعا شديداً على الشيخ –رحمه الله–. بعض إخوانا استطاع أن يصل إلى رئيس مجلس النواب وقال له: اتصل بالشيخ الألباني – رحمه الله– وأستفسر من الشيخ الألباني –رحمه الله–؛ طبعاً الشيخ الألباني –رحمه الله–لا يستقبل مكالمات إلا بعد العشاء، فاتصل به وقال له: أنا فلان رئيسَ مجلس النواب أريد أن أتكلم معك وأعرف رأيك بخصوصة قضية تهجير الفلسطينيين، فالشيخ الألباني –رحمه الله– قال له: الأسئلة بعد العشاء.

فكان الشيخ –رحمه الله– منظماً جداً في وقته، وكان –رحمه الله–يحرص على وقته أشد الحرص.

الشيخ الألباني –رحمه الله– دائماً يُكيفُ واقعهُ الذي يعيش لخدمة مشاريعه العلمية، مثلاً

الشيخ الألباني –رحمه الله– جاء إلى الأردن في سنة (1979) ومكث فترة أشترى أرض وأخذ ترخيص من الداخلية لتسجيل الأرض باسمه، في تلك الفترة كان يتردد على مكتبة كبيرة في الطابق الثاني لأحد إخوانا، الشيخ الألباني –رحمه الله– في تلك الفترة فكر في تأليف كتابه (مختصر شمائل الترمذي)، المكتبة بعيدة عنه، فاشتغل في المختصر، ولما مرض الشيخ الألباني –رحمه الله– مرض الوفاة أصبح الشيخ الألباني –رحمه الله– لا يجلس في المكتبة، والشيخ الألباني –رحمه الله–كان يعاني معاناة شديدة من غبار الكتب، كان يعاني من صدره أكثر ما كان يؤذي الشيخ الألباني –رحمه الله– غبار الكتب بحكم أنه يحبس نفسه في المكتبة طويلاً.

في أواخر عمره كان واضع الكتب على شرفة البيت (البرندة) نحن نسميها عندنا في الأردن، والظرف الصحي للشيخ –رحمه الله– جعله ينظر من جديد على كتابه في أحكامه على صحيح الترغيب والترهيب وعلى صحيح وضعيف الجامع الصغير، وكان قد طُبع تاريخ ابن عساكر، والعبد الضعيف نشرت المجالسة بعشر مجلدات وأرسل لي الشيخ أخانا مُحَمَّد الخطيب حتى يأخذ مني نسخة من كتاب المجالسة.

وهنا أشياء سريعة أذكرها تخص منهج الشيخ الألباني –رحمه الله–، وتفيد في تراجعات الشيخ الألباني –رحمه الله–، وتفيد في منهج الشيخ الألباني –رحمه الله– في التصحيح والتضعيف في بعض كتبه، وقل من ينتبه إليها، وإلى الله المشتكى.
الشيخ الألباني –رحمه الله– في السنن الأربعة (سنن النسائي)، و (سنن أبو داوود)، و (سنن الترمذي)، و(سنن ابن ماجة)، كان له منهج، وكان منهجه أن أحاديث هذه الكتب قسمان :–
قسمٌ خرجها الشيخ الألباني –رحمه الله– تخريجاً موسعاً في كتب مطولة له، وكان يكتبها بين حاشيتين –معكوفتين– على شمال الحديث، ويضع تحته الحكم على الحديث.

وهنالك أحاديث كثيرة في السنن الأربعة الشيخ الألباني –رحمه الله– ما كان قد خرجها، فكتب الشيخ الألباني –رحمه الله– في مقدمة النسائي أن حكمه إنما هو على إسناد الكتاب الذي بين يديه، وليس على الحديث، ولما فرغ الشيخ الألباني –رحمه الله– من الصحيح والضعيف في السنن، ثم يسر الله لي أن جمعت الصحيح والضعيف، ووضعت أحكام الشيخ الألباني –رحمه الله– مع الأسانيد على السنن الأربعة، بقي الشيخ الألباني – رحمه الله– يعطي.

وهنا نكتةٌ مهمةٌ يغفل عنها كل من يتكلم في الشيخ الألباني –رحمه الله– وعن أحكام الشيخ الألباني –رحمه الله–، ويزعم أن الشيخ الألباني –رحمه الله– تناقض.

الشيخ الألباني –رحمه الله–في حكمه على ما لم يُخَرِجه وهو كثير من السنن الأربعة، إنما حكمه على الإسناد الذي بين يديه، فإن خَرَجَ الشيخ الألباني –رحمه الله– وبدا له حكما فلعله يصحح الحديث، –متنه– بشواهد أخرى في كتاب مطول له،كالأجزاء اللاحقة من الضعيفة و الصحيحة، أو صحيح سنن أبي داوود المطول، ويبقى حكم الشيخ الألباني – رحمه الله– على إسناد الكتاب هو هو، وهذا عند التحرير والنظر إلى هذا الشرط ليس تناقضاً.

يعني الشيخ الألباني –رحمه الله– عندما وضع أحاديث في ضعيف أبي داوود، فحكمه عليها بناء على سنن أبو داوود، ثم الشيخ الألباني –رحمه الله– وضع نفس الحديث فيما بعد في السلسلة الصحيحة، وفي السلسلة الصحيحة يُضعف إسناد أبي داوود، لكنه يصححه من خلال طرق وشواهد أخرى.

هل هذ تناقض؟

لأ.

ولذا الذي كتب في التناقض لا يفهم، وفي بلادنا كتب بعضهم تناقض الألباني –رحمه الله– وهو ليس من أهل الحديث.

حدثني بعض مشايخنا الثقات في الحديث، قال: جاءني فلان يجمع تناقضات الشيخ الألباني –رحمه الله–.

قلت له: يا فلان أنت ليس لك في علم الحديث، دخلت المدخل الصعب، فكيف تكتب تناقضات الألباني –رحمه الله–.

قال: الألباني –رحمه الله– أفسد، وفعل وفعل وفعل.

طبعاً هو صرح أنه يريد أن ينتقم لجده، لأن جده قتله الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في الحجاز، فهو يريد أن ينتقم لجده، جاهلية.

قال: أنظر يا فلان، أنا اسألك مئة سؤالاً إن شئت تحريراً على الورقة وإن شئت شفوياً، إن أجبتني على سؤال من المئة، أعطيتك ما ماعندي من تناقضات الشيخ الألباني –رحمه الله.

قال: فحمل حذاءه ومشى.

فبعض من تنطح للشيخ الألباني –رحمه الله– وكتب عن تناقضات الشيخ الألباني –رحمه الله– ليس له في الحديث، أخذها لملمةً من الحاقدين على الشيخ الألباني –رحمه الله– ، من فلان وعلان، وأكثر من النقل عن إباضي معاصر اسمه سعيد القنوبي في كتابه السيل الجارف المطبوع في عُمان.

صدق الله ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ))، صدق الله، ((إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ))، فكل من اتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم رفع الله ذكره، وكل من تنكب سنة النبي صلى الله عليه وسلم له نصيب من قوله تعالى: ((إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)).

الشيخ الألباني –رحمه الله– في صحيح الجامع وضعيف الجامع كان لا يقبل إلا الطبعة الأولى، الطبعة الأولى من الصحيح الجامع تأتي في ثلاث مجلدات، وضعيف الجامع في ثلاث مجلدات، وكان لا يقبل الجمع في الطبعات الموجودة في المجلدة أو المجلدتين المعاصرة.

لماذا ؟

الشيخ الألباني –رحمه الله– نظر في الصحيح الجامع، وجد أحاديث صحيح الجامع على ثلاثة أقسام :–

1 – قسم حكم عليه في الجزء المطول. فأعتمده.
2 – قسم درسه وله مخطوطات في المكتبة الظاهرية. فحكم عليها بنفسه.
3 – قسم لم يظفر بأصوله، مثل تاريخ ابن عساكر، والمجالسة.

فالشيخ الألباني –رحمه الله– قلد السيوطي، فالسيوطي إن كتب (ص) قال صحيح، وإن كتب (ح) قال حسن، وإن قال (ظ) لم يظفر بشيء، ووضع عندها علامة استفهام، ابن عساكر علامة استفهام، الطبعات اللحقة حذفت علامات الاستفهام والحق القسم الثالث بالقسم الأول، والثاني، فغضب الشيخ الألباني –رحمه الله– غضباً شديداً.
هذه مسائل مهمة ينبغي عندما نحاكم العالم في اعتماده في التصحيح والتضعيف وأن ننظر إلى منهجه في ذلك.

طبعاً إخوانا المعاصرين كتبوا كتباً كثيرةً في تراجعات الشيخ الألباني –رحمه الله– ، ولم يفي واحد منهم بعلمه.

رأيت بعضهم قد جمع فكاد أن يستوعب، فاتصلت به قلت له :كيف منهجك في جمع تراجعات الشيخ الألباني –رحمه الله–؟

قال : ما وجدته قد صرح به ذكرت تراجعه.
قلتُ: الشيخ الألباني –رحمه الله– تراجع عن أصول مثلاً، الشيخ الألباني –رحمه الله– في رواية العبادلة عن ابن لهيعة يمشيها، ثم في أواخر حياته ألحق بالعبادلةِ قتيبة بن سعيد البلخي.

قال: أنا ما فعلت هذا؟

قلت له: مثلاً الشيخ الألباني –رحمه الله– في الضعيفة حديث لا تسرف في الماء ولو كنت على نهرٍ جارٍ حديث سعد بن أبي وقاص ، الشيخ الألباني –رحمه الله– أعله فقط بعلة أنه من رواية غير العبادلة عن ابن لهيعة، وليس للحديث علة، وهو من رواية ابن قتيبة عن سعيد عن ابن لهيعة، ففي مثل هذه الصورة يكون الشيخ الألباني –رحمه الله– قد تراجع عن تضعيفه إلى تحسينه.
فالذين جمعوا تراجعات الشيخ الألباني –رحمه الله– بقيت تراجعات الشيخ الألباني–رحمه الله– في غير فن علم الحديث غير مذكورة. هذا الأمر الأول.
الأمر الثاني: ما اعتمدوا أصوله، وإنما بحثوا عن تنصيصه، وهذا فيه عوز وفيه نقص.
أما عن تراجعات الشيخ الألباني –رحمه الله– الفقهية، فكثيرة، وكذلك بعض العبارات كان الشيخ الألباني –رحمه الله– تعالى يأخذ العلم ممن يحب وممن ما لا يحب، الشيخ –رحمه الله– في بعض كتبه في الطبعات الأولى كان يكتب عبارة العصمة لله، فكتب الشيخ عبدالفتاح أبو غدة –رحمه الله– وكان بينه وبين شيخنا ما هو مكتوب في مقدمات بعض الكتب، وفي ثنايا بعض الكتب، وأول ما نشر ذلك الشيخ عبد الفتاح أبو غدة –رحمه الله– في مجلة الأمة القطرية تتبع لفظة العصمة لله وأثبت أن استخدامها فيه محذور شرعاً، لأن العصمة لا تكون إلا في حق من يجوز في حقه الخطأ، ولذا قال الله تعالى :((لاعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ)) فالعصمة للأنبياء، وإنما هي من الله ولا يقال العصمة لله وإنما يقال: الكمال لله، أن تقول العصمة لله فكأنك تُجوزُ الخطأ في حق الله، فلما قرأ

الشيخ الألباني –رحمه الله– مقولته قال: أصاب واخطأت، وأخذ الشيخ الألباني –رحمه الله– يعدل الطبعات السابقة ويغير العصمة لله إلى الكمال لله ، فكان الشيخ الألباني – رحمه الله– ليس بينه وبين الحق حجاب.

وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم ، فمتى ظهر له الحق فينبغي أن يعض عليه بالنواجذ ، العلم بحث، وإذا الإنسان إن كان رجاعاً للحق فإن الله عز وجل يبارك له في علمه، وإن الناس العقلاء منهم يثقون بشدة ودقة فهمه.
كذلك الشيخ الألباني –رحمه الله– من الأشياء التي تراجع عنها مثلاً وهي على خلاف ما كتب، على ذكر أداب الزفاف، الشيخ الألباني –رحمه الله– في أداب الزفاف قرر أن المرأة إذا كانت حائضاً ثم طَهُرَت فلزوجها أن يجامعها بمجرد أن تغسل ذاك المِحِل دون أن تغتسل، الشيخ الألباني –رحمه الله– قرر هذا رحمه الله في كتابه أداب الزفاف، ثم الشيخ – رحمه الله– تدبر الأية وهي قوله تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)) سورة البقرة (222) فإذا تطهرن: أي أحدثن طُهراً ، فسمعت الشيخ الألباني –رحمه الله– في بعض رحلاته يقول:– القول بجواز حل وطء الرجل زوجته بعد انتهاء الحيض منها قبل أن تغتسل كنتُ قد قررته، والصواب خلافه، فلا بد أن تغتسل ، فإذا تطهرن أي أحدثن طهراً.
فللشيخ الألباني –رحمه الله– تراجعات كثيرة وتحتاج بعد لجمع.

الشيخ الألباني –رحمه الله– له انفرادات ، وعلماء الحديث لهم انفرادات، لو أنكم قرأتم كتاب الإمام البخاري للقاسمي، وقد حشر الإمام القاسمي جمال الدين انفرادات الإمام البخاري في ورقة ، لاستغربتم من كثيرٍ من المسائل التي قال بها الإمام البخاري ، شيخنا الإمام الألباني –رحمه الله– له نوادر، وله انفرادات وانفراداتهُ معدودةٌ قليلة مغموسةٌ في بحر تحقيقاته، وهو –رحمه الله– ممن بلغ قلتين فزيادة ، والماء إذا بلغ قلتين فإنه لا يحمل الخبث.

لو أردنا نقول الشيخ الألباني –رحمه الله– خالف علماء زمانه في وقته بمسائل محصورة وقليلة وليست بكثيرة.

مثلاً لو أردنا نقول الشيخ الألباني –رحمه الله– له رأي في حكم زكاة عروض التجارة، وله رأي في أن الاعتكاف لا يجوز إلا في المساجد الثلاث، وأن صيام السبت في التطوع والنافلة لا يجوز، وأن الطلاق لا يقع دون شهود، وأن الاستمناء لا يفطر في نهار رمضان، هذه بعض انفرادات الشيخ الألباني –رحمه الله– وهي قليلة جداً، وإن دلت على شيء إنما تدل على تلمسه للحق، وحرصه للوقوف عليه، والشيخ الألباني –رحمه الله– ما توصل لهذه الأقول إلا باستخدامه قواعد الإثبات وقواعد الاستدلال عند أهل العلم، فهو لم ينفرد بقواعد خاصة في التصحيح والتضعيف، ولم ينفرد بقواعد خاصة بالإستدلال والتوجيه، وإنما اعتمد على مقررات العلماء، وإلا لم يكن الشيخ الألباني –رحمه الله– يعرفُ بالشذوذ، كثير من الناس يقول الشيخ الألباني –رحمه الله– يطعن في البخاري، ويطعن في مسلم، الشيخ الألباني –رحمه الله– له أقوال ما قال فيها أحد، الشيخ الألباني –رحمه الله– يصحح وضعف، ويرجع.

من ترجموا للإمام سراج الدين البلقيني، قالوا: كان فيه شيء من التراجعات، قال ابن حجر وغيره من المترجمين: وكان ذلك يدل على سعة علمه، وحرصه على الإنصاف، وهذا ممّا يمدح به العالِم ولا يقدح ، فإذا الدليل وصّلك إلى اعتقاد فأمر حسن، فكان الشيخ الألباني –رحمه الله– لا يماري أحداً ولا يتابع أحداً، إنّما يتابع الدليل.

ولما كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يسأل عن صحيح البخاري –وأنا سألته أكثر من مرّة–: تضعّف يا شيخ بعض أحاديث في صحيح البخاري، فكان الشيخ الألباني –رحمه الله– يقول: ما ضعّفتُ شيئاً في الصحيح إلا وأنا مسبوق به.

الصحيحين لهما منزلة عظيمة كالجبال الرواسخ ولا يستقلّ منزلتهما إلَّا غِرّ أو مبتدع.

فمن علامة أهل الحديث ومن علامة أهل السنّة تعظيم الصحيحين، لكن نحن لا ننزل الصحيحين منزلة القرآن ونقول ما قرره ابن صلاح في مقدمته في علوم الحديث:

((وجميع ما في الصحيحين صحيحٌ سوى أحرف يسيرة تُكلّم فيها)).

فالشيخ الألباني –رحمه الله– إن نقد فإنّما ينقد وفق قواعد، وهو مسبوقٌ –رحمه الله– بنقده.

ولذا الشيخ الألباني –رحمه الله– له دقة في الفهم ودقة في الاستدلال، ودقة في التصحيح والتضعيف، ونفس في جمع الطرق، تميّزَ بذلك عن سائر إخوانه من معاصريه –رحمه الله–.

كان له في الحقيقة أشياء عجيبة.

مثلاً: كثير من الناس يوسّعون الخلاف، حتى وجدنا بعض الناس يقبل خلاف الشيعة وخلاف الزيدية وخلاف الظاهرية لكن عندما يكون الخلاف عند السلفية لا يقبله ؛ يقبل كل قول، ولكن إذا سمع بالخلاف عند الشيخ الألباني–رحمه الله– لا يقبله، يقبل كل شيء إلّا الخلاف عند الألباني للأسف، ويستدلوا بالحادثة التي ثبت فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا يصلّين أحدكم العصر إلا في بني قريظة، قالوا: الصحابة اختلفوا أناس تصلي وأناس لا تصلي، والنبي صلى الله عليه وسلم سكت عن الأمرين، وهذا مذهب قديم عند يسمى مذهب المصوّبة ومذهب المخطّئة.

المصوّبة: تقول كل الأقوال صواب.

المخطّئة: تقول كل الأقوال كلها خطأ إلا قولا واحدا.

أيّهما أصوب من القولين قول المصوّبة ام قول المخطّئة؟

قول المصوبة.

المصوّبة يستدلون بحديث لا يصلّين أحدكم العصر إلا في بني قريظة، والمخطّئة يستدلون بما في الصحيحين في حديث أبي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم: إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر.

قالوا: اجتهد فأصاب، واجتهد فاخطأ، الأجر شيء، والصواب والخطأ شيء.

من لطيف ما ذكره ابن الصلاح في شرح الورقات الذي سجّلها تلميذه ابن فركاح وقد طبع شرح ابن فركاح ، قال: المخطّئة يلزمون المصوّبة بأن مذهبهم خطأ، والمصوّبة كل شيء صح، كل شيء صواب.

تخيّل معي الآن أن واحدا من المصوّبة وآخر من المخطّئة وبينهما مناظرة، المصوّب ماذا يقول؟

يقول: كل الأقوال صواب.

المخطّىء ماذا يقول؟

يقول: الأقوال خطأ إلا قولا واحدا، إلا الخلاف الذي ورد فيه اختلاف تنوع.

عندنا واحد مصوّب وواحد مخطّىء، واحد مخطىء يقول لواحد مصوّب: قولك بأن كل الأقوال صواب خطأ، فيلزم على أصله أن يقول له كلامك صواب.

فسقطت المناظرة.

من لفتات شيخنا الألباني –رحمه الله– وفوائده ودقّته التي لم أجدها في كتاب لما كان يسأل عن دليل من يوسع الصواب في الأقوال بكلام النبي صلى الله عليه وسلم: لا يصلّين أحدكم العصر إلا في بني قريظة، قال: سكت عنهم النبي صلى الله عليه وسلم لأنه يعلم أن هذه الحادثة لن تعود إلى قيام الساعة، فما الفائدة من الإخبار؟ من المصيب ومن

المخطىء؟ حادثة لن تتكرر، وإذا استطعت أن تستر على مخطّىء استر، وهذه من باب التربية

فتوجيه الشيخ الألباني –رحمه الله– للدليل يدل على دقّة فهمه.

كان الشيخ الألباني –رحمه الله– يسأل سؤالا محيّراً، وهذا أيضاً من أدلة على دقّة فهمه.

لو أن رجلاً عاش واجتهد في معرفة الإسلام ودين الإسلام، ونبي الإسلام مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وما توجّه للصلاة، فمات ولم يعرف هذا الدين، وبذل جهده فما مآله عند الله؟

لما سئل الشيخ الألباني –رحمه الله– هذا السؤال، كنّا في مجلس فيه فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ، وزير الأوقاف سابقاً في المملكة العربية السعودية، وهو من كبار علماء الأمة، وهو عالم متفنن، صاحب فنون، وليس صاحب فن، حتى أن الإخوة أخبروني أنه في شرح مسائل الجاهلية أشار لجواب الشيخ الألباني –رحمه الله–، وأثنى عليه.

يقول الشيخ –رحمه الله–: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من رآني في المنام فسيراني في اليقظة.

قال: من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام على خلاف صورته هل رآه؟

رآه أم لم يره؟

مثلا لو واحد قال: رأيت مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم حليق لحية، ورأيته لابس بدلة وكرفتة، هل هذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم.

في الحديث من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أي من رآني على صورتي الموصوفة في كتب الشمائل.

مباشرة الشيخ الألباني –رحمه الله– ينقلك إلى حديث ثبت في الصحيحين، حديث أبي هريرة يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: من سمع بي ولم يؤمن بي إلا كانت الجنة عليه حرام.

قال: من سمع دعوة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم المشوّهة وليست الدعوة النبوية الحقيقية، ليس دين الإسلام الحقيقي، وهذا بذل جهده، ولم يعرف إلا هذا الدين، فلم يؤمن به، هل قامت عليه الحجّة؟

هل سمع به؟

نحن جزمنا الأول ما رأى، والثاني ما سمع.

فالشيخ الألباني –رحمه الله–كان يقول: من رام الحق ولم يوفّق لمعرفة الإسلام الصافي الذي أنزّله الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا ألحقه بأهل الفترة، هذا لا أحكم عليه على أنه خالد في النار، وإنما ألحقه بأهل الفترة.

حديث من يتّجر على هذا في منع الجماعة الثانية، لما ابن حزم وقف على حديث من يتّجر إلى هذا على هذا لما دخل صحابي وكانت الجماعة قد انتهت، فرآى النبي صلى الله عليه وسلم حرصه فقال: مَن يتّجر على هذا؟ وفي رواية من يتصدّق على هذا، ابن حزم يجوّز الجماعة الثانية، ترى الجماعة الثانية لا يجوّزها من الفقهاء إلّا الإمام أحمد رحمه الله، وابن حزم، الأئمة الثلاثة الآخرون لا يجوّزونويمنعون الجماعة الثانية.

ابن حزم في المحلى يقول: ولو وقف المخالفون على هذا الحديث في صحيح البخاري من يتّجر على هذا الحديث لطاروا به كل مطار.

لما كان الشيخ –رحمه الله– يقول أنت تقول بمنع الجماعة الثانية فكيف توّجه من يتّجلا إلى هذا؟

فكان الشيخ –رحمه الله– تعالى يقول: يتّجر فعل مضعّف العين، والفعل المضعّف له فاعل و له مفعول به، ولازم الحديث أن نتصدق عليه وإذا دخلوا جماعة ولم يصلّوا الفرض مع الإمام الراتب هؤلاء مفاليس ما في واحد متصدق ومتصدق عليه، وهذا حديث خاص فيمن دخل فبحث عمّن أدرك الجماعة مع الإمام فيتصدّق عليه، لو صلّى وحده لكانت له الركعة بركعة، ولما يجد من يتصدّق عليه إذا كانت الركعة بخمس وعشرين فيتصدّق عليه بأربع وعشرين وإذا كان بسبعة وعشرين يتصدّق عليه بستة وعشرين، هذا دقة فهم ودقة إعمال الحديث ودقة تنزيل النص في منزله.

فالتشغيب على الشيخ الألباني –رحمه الله– بأنّه محدّث وليس بفقيه، تشغيب باطل.

وجدنا مبغضي ومناؤي الشيخ الألباني –رحمه الله– يتدرّجون في الطعن في الشيخ، مرّة يقولون لك الشيخ الألباني–رحمه الله– محدّث وليس بفقيه، ومرة يقولون لك الشيخ الألباني –رحمه الله– عقيدته فاسدة، الشيخ الألباني –رحمه الله– مرجىء، وأول ما قالوا الشيخ – رحمه الله– الألباني مرجىء كانت هذه فرية بلا مرية، وهذه التهمة الكاذبة الصلعاء كانت في حياة الشيخ الألباني –رحمه الله–.

وأذكر لكم لطيفة:

الشيخ الألباني –رحمه الله– لما أعطاني الضعيفة الخامس وجدت أسانيد مختلة منقولة من مسند إسحق بن راهوي وكان مسند إسحق في الحديث، فبعض إخواننا اتصل وقال أنا سآتي ألاسبوع القادم زائراً إلى الأردن ماذا تطلب؟

قلت: بلغني أن مسند إسحق طُبِع وتكلّمت مع الشيخ –رحمه الله– فقال الشيخ –رحمه الله–: إذا جاء الأخ يحضر لي نسخة .

قلت: يا شيخ أحد إخواننا قادم من سوريا الأسبوع القادم فقلت للأخ: شيخنا –رحمه الله– يوصي نسخة له ونسخة لي فاجعلها نسختين نسختي ونسخة الشيخ –رحمه الله–.

قال: لكن لي شرط.

قلت: ما هو شرطك؟

قال: شرطي أن اسلّم الكتاب للشيخ بنفسي .

قلت: أخبر الشيخ –رحمه الله–.

فأخبرت الشيخ .

فقال: ما في مشكلة .

اتصل بي، اتصلت بالشيخ وذهبت أنا وإياه فسلّم الهدية للشيخ، وأخانا أحضر معه هدية علبة طيب فاخرة؛ فالشيخ –رحمه الله– شكره وأخذ علبة الطيب وأخذ الكتاب (مسند إسحق) وكان في مجلدين وكان مسند عائشة أول ما طبع منه قبل أن يطبع قسم نساء أمهات المؤمنين.

فالشيخ قال للرجل: كم ثمن الكتاب؟

فاستحيى الأخ.

قال الشيخ –رحمه الله–: أنا وصيت على الكتاب، يجب تأخذ ثمنه، فأبى الشيخ –رحمه الله– إلا يدفع الثمن، قال: الطيب أخذته وشكرتك ولم اسألك كم ثمنه؟ هذا هدية أما هذا

الكتاب فقلت لك أنا اشتريه لي؛ فأبى الشيخ أن يأخذ الكتاب حتى أعطى الأخ المال ثم قال الشيخ –رحمه الله–: وهذا باب من أبواب التصفية المهمة التي ينبغي على المشايخ وإخواننا طلبة العلم المتقدمين ينبغي أن يحرصوا كل الحرص على هذا الأمر.

الشيخ –رحمه الله– بدأ يتكلّم عن حال الصوفية مع المريدين وكيف أن المريدين يُستَغلّوا من قبل الصوفية وأن المشايخ يصبحون كأنهم رهبان يأكلون أموال الناس بالباطل، وبدأ يروي الشيخ قصصا كانت تجري في الشام مع هؤلاء المريدين.

الشيخ –رحمه الله– أُتّهم بتّهمة الإرجاء .

في مسند إسحق بن راهوي إسناد عن عبدالله بن مبارك –ترى ابن مبارك أتهم بأنه مرجىء– فكان يقول ابن المبارك والله أنهم لا يقبلون أبعد ما شخت أُصبحت مرجئاً إني أقول إن الإيمان يزيد وينقص وإني استثني من الإيمان أنا مؤمن إن شاء الله ، بعني العمل داخل في الإيمان لذا أقول أن العمل يزيد وينقص يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، وهذا دلالة أن العمل من الإيمان وهذا ليس مذهب المرجئة.

فكان الشيخ –رحمه الله– يفرح بهذه الكلمة، وكنّا نخاف ممن يتّهم شيخنا الألباني —رحمه الله بأنه مرجىء ، وحقيقة اتّهام الشيخ –رحمه الله– بأنه مرجىء لأنه لا يكفّر الحكّام، فكان الناس يقولوا مرجىء كنا نخاف أن يُتّهم إخوانه من كبار علماء الأمة أمثال الشيخ ابن باز رحمه الله والشيخ ابن عثيمين وأصبح فعلاً هؤلاء المراهقون وهؤلاء الصبية وأولي الأحلام أصبحوا يتهمون فيما بعد الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين بالإرجاء.

شيخنا –رحمه الله– معتقده معتقد سلفي، وهو الذي دفع ضريبة هذا المعتقد.

ظفرت بمقالة منشورة في جريدة العلَمَ اليومية الدمشقية سنة 1955 يُعقد محاكمة لشيخنا الألباني –رحمه الله– مع مشايخ سوريا لأنه وهّابي، فالذي دفع ضريبة المعتقد الصحيح والذي ضُيّق عليه في رزقه وفي حريّته بسبب معتقده إنما هو الشيخ الألباني –رحمه الله–.

الشيخ الألباني –رحمه الله–كانت العقيدة تسري في دمه .

يحدّثني أخانا فضيلة الشيخ علي خشّان –رحمه الله– وهو من قدماء تلاميذ شيخنا الألباني –رحمه الله– يقول: كنا قد رجعنا من مكة إلى المدينة وكان الشيخ –رحمه الله– يسرع في السيّارة كعادته، الشيخ –رحمه الله– لما كان يقود السيارة كان يسرع وكان يستدل بقول جابر في صحيح مسلم في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا وجد فجوة نصّ إذا وجد فجوة بينه وبين ما قبله من الدواب نصّ.

ما معنى نصّ؟

يعني جعل ناقته تتعجل.

فكان الشيخ –رحمه الله– يستدل بهذا على الاستعجال.

المهم كان مستعجلاً في السيّارة فَقُلبتِ السيارة فاجتمع الناس والشيخ –رحمه الله– تحت السيارة، فسمع الناس يقولون ي يا ساتر يا ساتر ، فالشيخ –رحمه الله– وهو تحت السيارة ينظر اليهم ويقول: ما تقولوا يا ساتر ساتر الله ليس من اسمائه يا ساتر قولوا يا ستير قولوا يا ستير .

حتى في مثل هذا الظرف العسر وهذا الضعف الصعب الشيخ –رحمه الله– يُعلّم الناس المعتقد الصحيح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله حيي ستير".

فالشيخ –رحمه الله– كان على معتقد صحيح وعاش ليدعو إلى معتقد السلف في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وفي توحيد الأسماء والصفات.

الشيخ –رحمه الله– له حِكَم، وله عبارات جميلة سمعنا بعضها من الشيخ –رحمه الله– في آواخر حياته، مما سمعته من الشيخ –رحمه الله– من محاسن كلامه ؛ وكلامه كله حسن — رحمه الله، كان يقول: خير عادة أن لا تأسرك عادة، خير عادة أن تكون حرّاً طليقاً وأن لا تكون عبداً لعادة من العادات، بعض الناس عبد لفنجان القهوة وبعض الناس عبد لكاسة الشاي، وبعض الناس عبد لشيء يمارسه.

الشيخ –رحمه الله– كان صاحب فطنة صاحب دراية، كان للشيخ –رحمه الله– رحلة دعوية في الشام على الدراجة الهوائية —البسكليت–، يصعد يخرج للشباب بشمال الشام إلى اللاذقية، مرّ على الطبيب، قالوا للشيخ –رحمه الله– عند صمّام، –صمّامات القلب–، فالشيخ –رحمه الله– يقول: قرأت كتاب لشخص روسي عن الصوم الطبي، أن الإنسان لا يأكل شيئاً وإنما فقط يشرب الماء ، قال فاقتنعت بالفكرة، فمكثتُ إحدى وعشرين يوم ما دخل جوفي شيء إلا الماء، ثم لما فحصت عافاني الله.

يقول –رحمه الله– حدّثت بهذه القصة الشيخ كفتارو – مفتي الشام– قال كانت عنده أمّ مقعدة قال فحبسها في غرفة وكان لا يطعمها فقط يضع لها الماء، قال كانت مقعدة بعد مدة أصبحت تمشي، هذا علاج بالماء دلّ استخدام الشيخ –رحمه الله– على علو همّته، وعلى تحكمه بنفسه، وأنه قد مارس هذه الحكمة التي كان يقولها خير عادة ألّا تأسرك عادة.

من كلمات الشيخ –رحمه الله– الأخيرة الجميلة التي قالها قبل أيام من وفاته، وكنّا في مزرعة بعض إخواننا في الأغوار ، الشيخ –رحمه الله– تكلّم كلمة فمما قال وما أحوجنا أن نتذكر كلامه رحمه الله كان يقول: لا تجمعوا على الناس ثقلين، فالحق ثقيل لكنه مريء والباطل

خفيف لكنه وبيء، لا تجمع على الناس ثقل الحق وثقل الأسلوب، روّجوا الحق بحسن الأسلوب وحسن الطريقة.

من كلماته الجميلة التي كان يردّدها شيخنا –رحمه الله– كان يقول: الجاهل يُعلَّم وصاحب الهوى ليس لنا عليه سبيل.

وكان –رحمه الله– يقول: قل: كلمة كلمتك وامشِ.

ورأيت كلمة بخط الشيخ –رحمه الله– من أواخر ما خطّت يمين الشيخ ، كتب على غلاف بعض كتبه بيت شعر فيه:

قَرُبَ الرحيل إلى الدار الآخرة

فاجعل إلٰهي خير عمري آخره

وهنالك أكذوبة ردّدها بعض الناس بل للأسف نشرت في بعض الفضائيات يقولون الشيخ الألباني –رحمه الله– مات وما عنده تلاميذ.

وهذه مقولة كذب وزور.

شيخ الإسلام سُئل في الفتاوى: هل يجوز أن نقول على الصحابة أشياخنا ؟

قال: من استفدت منه، وإن لم تلقه، فلك أن تقول عنه شيخي.

كم من علمائنا ممن ليس لهم تصانيف، وكان التلاميذ قد استفادوا منهم من خلال السؤال.

أبي حنيفة تلاميذه كُثُر وليس له كتاب، كتاب الفقه الأكبر على الراجح لأبي مطيع البلخي، والفقه الأكبر فيه مسائل لم تُعرف في زمن أبي حنيفة المتوفى سنة 150 للهجرة، وإنما حدثت بعده، هل نقول أبو حنيفة لأنه لم يُقرَأ عليه كتاب من كتبه ليس له تلميذ؟

ليس بصحيح.

حديث جبريل الطويل وهو الحديث الأول في صحيح مسلم حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما جاء جبريل فقال: ما الإيمان؟ ما الإسلام؟ ما الإحسان؟ متى الساعة؟ ما أماراتها؟ والنبي يجيبه، ثم لما انصرف أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال أتدرون من هو؟ من السائل؟ قال إنه جبريل ، ماذا قال بعده النبي صلى الله عليه وسلم :جاءكم يعلمكم أمور دينكم، هو ما علّم، هو سأل .

فإذا جلست بين يدي شيخ في حلقات التعليم السؤال والجواب واستفدت من أجوبته ففهمت منهجه وعلمت فتاويه وقرأت كتبه أيوجد تلمذة بعد هذه التلمذة.

أنا أقول كلمة عن تلاميذ الشيخ:

شيخنا الألباني –رحمه الله– كعلماء الأمة الكبار السابقين واللاحقين، العلماء الكبار ممن طال عمرهم في العطاء وفي التدريس وفي التأليف وممن تعددت مجالسهم بالفتوى تلاميذهم ليسوا على طبقة واحدة وإنما تلاميذهم على طبقات شيخنا الألباني –رحمه الله– تلاميذهم ليسوا على طبقة واحدة، وإنما تلاميذهم على طبقات، تلاميذ الشيخ الألباني –رحمه الله– على طبقات، الّذين عاشوا مع الشيخ –رحمه الله– في فترة من حياته ، في فترة أوج دعوته وحركته وتنقّله من مكان لمكان هؤلاء طبقة.

لما التقينا بأخينا الشيخ مُحَمَّد عيد عباسي وكان بعض إخواننا قد كتب في بعض كتبه بعد طول غياب قد استمر نحو عشرين سنة، ثم ظهر بعد عشرين سنة في سجون سورية، بعض

إخواننا كتب رحمه الله كنّا نظنه ميت فلمّا التقينا في المجلس الأول في بيت أخينا الشيخ علي الحلبي –رحمه الله– وكان حاضراً فاستغرب الشيخ مُحَمَّد عيد العباسي كيف أن بعض الطلبة يعتنون بالأسانيد والرجال ويسألون عن العلل وما شابه ، يسألون الشيخ هذه الطبقة الأولى ما كانت تعرف هذا العلم، وكانوا يقلدون الشيخ في التصحيح والتضعيف، ثم لما جاء الشيخ الألباني –رحمه الله– إلى الأردن صبغ مجموعة من طلبته في تخريج الأحاديث والعناية بهذا الأمر.

حتى بعض إخواننا المتقدمين في القرآن والقرآت ترك تخصصه واشتغل بما صبغ الشيخ الألباني –رحمه الله– به الناس، والعادة أن الطالب يتأثر بالتلميذ، أن التلميذ يتأثر والطالب يتأثر بالشيخ ، وكيف وكان شيخنا الألباني –رحمه الله–إماماً من الأئمة.

فالزعم أن شيخنا الألباني –رحمه الله– ليس له تلاميذ هذا خطأ.

شيخنا الألباني –رحمه الله– له تلاميذ، وتلاميذه لا يمكن حصرهم ويعسر عدّهم ويستحيل ضبطهم.

لماذا؟

أولاً الشيخ الألباني –رحمه الله– درّس في الجامعة الإسلامية ثلاث سنوات، فكل الأفواج التي كان الشيخ –رحمه الله– يدرس فيها هذه كلها من تلاميذ الشيخ –رحمه الله–، فالذي درّسني دراسة نظامية وجلست بين يديه كما أنتم جالسون بين يدي، هؤلاء تلاميذ للشيخ، ولك أن تقول سمعت من شيخي فلان ، فجميع هذه الأفواج تلاميذ الشيخ.

من عجائب شيخنا الألباني –رحمه الله– أن بعض الحاسدين ممن كان يدرّس مع الشيخ – رحمه الله– في الجامعة الإسلامية هو الذي عمل على إنهاء تدريس الشيخ –رحمه الله–في الجامعة الإسلامية.

حدثني الشيخ عمر الاشقر –رحمه الله– يقول وقد أطال في الحديث عن شيوخه الذين تأثّر بهم وذكر شيخه الشنقيطي وشيخه ابن باز وشيخه الألباني –رحمه الله– وكان حظ كلامه عن شيخه الألباني –رحمه الله–كثيراً وجميلًا وماتعًا.

رحم الله الشيخ عمر الأشقر ورحم الله شيخنا الألباني، ورحم الله الشيخ الشنقيطي، ورحم الله الشيخ ابن باز والحقنا بهم بالصالحين.

سمعته يقول : الشيخ الألباني –رحمه الله–كان إذا دخل الجامعة دخل بطلبة العلم وإذا خرج من الجامعة خرج بطلبة العلم.

الشيخ الألباني –رحمه الله– إذا دخل الكل يدخلون وإذا خرج الكل يخرجون.

والشيخ –رحمه الله– بين المحاضرات والأوقات التي ما كان يدرّس فيها كان الشيخ يجلس والطلبة حواليه في ساحات الجامعة.

قالوا لا يجوز هذا ، حتى تصبح الجامعة جامعة لا بدّ للشيخ الألباني–رحمه الله– من أن يخرج.

كل الطلبة الآن لا يدرسون إلا على الشيخ الألباني –رحمه الله–، فالشيخ الألباني –رحمه الله– تلاميذه طبقات، فطبقة لازمته في سوريا في أول دعوته ونشأته وغلب على هؤلاء التقعيد العقدي العام والدعوة إلى السنة، وعدم العمق في دراسة الحديث وعلم الرواية، ثمّ لما جاء الشيخ –رحمه الله– إلى الأردن انقطع ولازمه عدد قليل وكان يجلس في مجالس فيها بعض الأحايين عدد كبير ولما كان يكثر العدد كثرة كبيرة جداً كان الشيخ يعتذر.

أذكر أن بعض إخواننا في بعض قرى سحاب أقام وليمة أو عقيقة، وكان أيامها ما في فضائيات، كان قد أحدث شريط في التلفزيون ؛ شريط يكتب عليه الدعايات، فكتب في الشريط أن شيخنا الألباني –رحمه الله– سيأتيني و عندي عقيقة والدعوة عامة، فالشيخ

الألباني –رحمه الله– لما علم أنه فعل هذا أبى الشيخ –رحمه الله– أن يحضر، فكان الشيخ –رحمه الله– لا يحب التجمعات العامة.

جاءه بعض إخواننا السلفيين من الهند قالوا يا شيخ عندنا مؤتمرات للسلفيين في الهند يحضرها 2 مليون و 3 مليون، فكان يقول الشيخ –رحمه الله– : حب الظهور يقصم الظهور، فكان الشيخ –رحمه الله– يقول: من الذي يأمنني على نيتي.

فكان الشيخ الألباني –رحمه الله– لا يحب هذا الظهور الكبير، لكن الشيخ الألباني –رحمه الله– تعددت مجالسه وانتشرت كتبه وكتبه أصبحت رائجة ولله الحمد والمنّة وطلبته عرفوا أصوله وحفظوا فتاويه وقرأوا كتبه وعرفوا اختياراته واتقنوا الأمور التي تبنى عليها مسائله فإذا لم يكن هؤلاء تلاميذ فلا يوجد لعالم تلميذ على وجه الأرض.

فهذه فرية بلا مرية.

من لطائف ما قرأت الطبعة الثانية من كتاب أداب الزفاف، شيخنا الألباني –رحمه الله– يقول في الطبعة الثانية من كتاب أداب الزفاف، وقد منّ الله تعالى أن وضع الله كتابي هذا القبول، فقد نفدت ألفا نسخة من هذا الكتاب في عشر سنوات .

طبعاً أخر حياة الشيخ الألباني –رحمه الله– كان يُطبَع من كتبه خمسين ألف نسخة وتنفد في شهر ، انظروا الفرق عشر سنوات ألفين، وخمسين ألف تنفد في شهر، اعمل الآن في الرياضيات مقارنة تجد المقارنة كبيرة.

الله جل في علاه وضع للإمام الألباني –رحمه الله– قبولاً.

كم عدد سكان ألبانيا؟

أربعة مليون.

إذا قيل الباني تنطبق على أربع ملايين لكن الذهن لا ينصرف إلا لواحد، صحيح؟

صحيح.

لكن في الواقع أنت لا ينصرف ذهنك إذا قيل الباني إلا لشخص واحد، هو شيخنا الألباني -رحمه الله-.

شيخنا الألباني -رحمه الله- عاصره مجموعة وأشهرهم الشيخ ابن عثيمين والشيخ ابن باز وتلاميذ الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين حفظهم ربي وحفظ الأحياء منهم، ورحم الله مشايخنا جميعاً، وفوا وأدوا أدّينا، الواجب في ذمتهم اتجاه شيوخهم أما تلاميذ الشيخ الألباني -رحمه الله- فقد قصّروا في الترجمة له وفي بيان منهجه وتطاولت الألسنة وإلى الله المشتكى، وأصبح كل مَن دب وهب وكل مَن درج وعرج يطعن في الشيخ الألباني -رحمه الله-، بل أصبح بعضهم وإلى الله المشتكى من غربة الإسلام والسنة، كذاك الأعرابي الذي تغوّط في زمزم، فقيل له لِمَ فعلت هذا؟

قال أريد أن أدخل التاريخ.

فدخل التاريخ من الباب الخلفي.

بعض الناس تصبح له منزلة في الطعن في الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-.

و رحم الله من قال: مات سفيان فليقل من شاء ما شاء، إلى الله المشتكى ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

للتواصل بخدمة الدرر الحسان بإمكانكم متابعتنا من خلال :

1 – الموقع الرسمي للشيخ مشهور بن حسن آل سلمان (يبث من خلاله الدروس)

http://meshhoor.com/

2 – صفحتنا على الفيس بوك :

https://www.facebook.com/meshhoor/

3 – قناتنا على التيلغرام :

http://t.me/meshhoor

4 – خدمة الواتس اب للرجال من خلال هذه الأرقام :

{ 00 962 776757052 }للرجال

{+12029136892 }للنساء